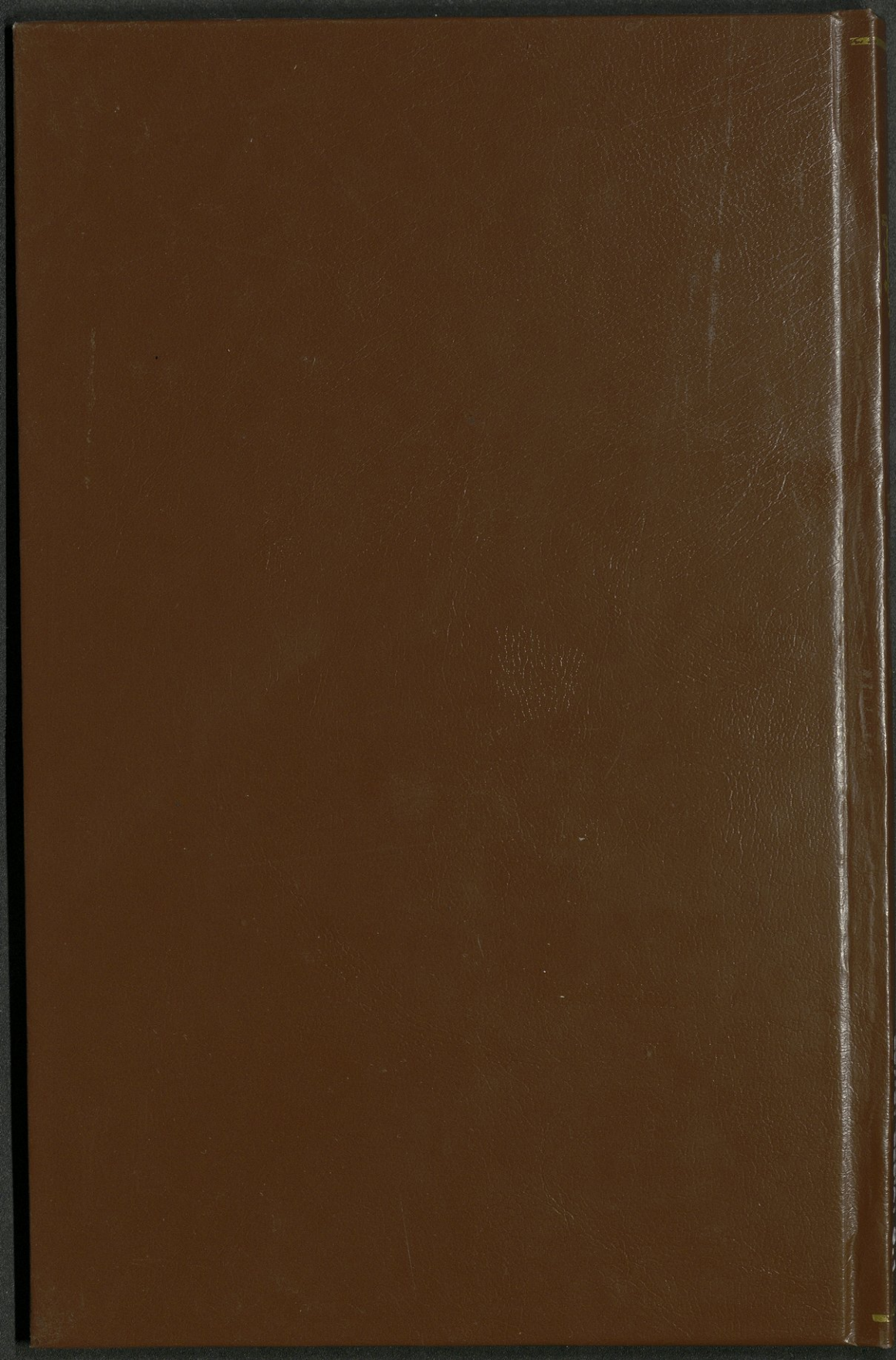




A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A. J. B. LIBRARY

Oct 10 1883

٤٢٤١
ل

297.8

B29fA
C.1

الفرداء لاسلاميين

تأليف

محمود البشبيشي

المدرس بمدرسة (دار العلوم)

(حق الطبع محفوظ)

الطبعة الأولى

١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م

يطلب من المكتبة البخارية الكبرى بأول شانغ محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

49249

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الحميد بن مصطفى

Oct. Sept. 1933

مكتبة جامعة القاهرة



مكتبة

جامعة القاهرة

مكتبة جامعة القاهرة

(مكتبة جامعة القاهرة)

مكتبة

٥٧١٩ - ٧٧١٩

مكتبة جامعة القاهرة

٥٧١٩ - ٧٧١٩

مكتبة جامعة القاهرة

مقدمة

تاريخ الفرق الاسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ وبعد ﴾

فلما رأيت أسماء بعض الفرق الاسلامية تدور كثيراً في (علم الكلام) وليس بأيدي الباحثين فيه كتاب مرتب مختصر يبين هذه الفرق ، استحسننت أن أضع في هذا الموضوع (كتاباً) يكون وسطاً بين الإيجاز والاطناب ، في عبارة واضحة وترتيب يسهل معه البحث والاطلاع ، وقد اقتصرت على المذاهب التي لها أثر ظاهر في تاريخ المسلمين ، وبدأت بذكر (أهل السنة) وإن لم يظهروا (كطائفة ذات قوة) إلا بعد تكون الفرق الأخرى ، لأنهم ينظرون في مذاهب غيرهم من الفرق ، فمن حق القارئ أن يلم بتاريخهم قبل أن يعرض لتاريخ غيرهم .

وإني ما ابتغيت إلا خدمة التاريخ الاسلامي بالقاء ضوء (كاف) على ناحية جلية من نواحيه ، ورائدي فيما حاولته المصلحة العامة ، والقيام بواجب ، يدعوني الاخلاص أن أقوم به ، وما أذكر نفسي فيما أحاول ، وما أدعى الاتيان بما لم يأت به سواي ، ولكنني أقوم بواجبي ، وأنهض بقسطي

فحسب ، يحدوني على ذلك حسن النية ، وحب الخير ، ولعل في مجهود
 قال ، يقوم به من أراد ، فائدة أستاذها ، وهديا أستاذي به ، ولقد كانت
 ضالتي الحقيقة أنشدتها والصواب أبتغيه والانصاف أسير على منهجه ،
 ومرجعي فيما تناولت بحثه من المذاهب والنحل أحفل الكتب ، وأصدق
 المراجع .

وقد عنيت كثيرا ببحث المسائل الخلافية (في علم الكلام) وقارنت
 كثيرا من الآراء بعضها ببعض ، وتناولت تاريخ (الخوارج) ببسطة في
 القول ، يتسع لها المقام فلم أغفل فيه الناحية الأدبية ، إذ كان للخوارج
 منها حظ كبير ، وألحقت بهذا البحث فصلا مناسباً في معنى مذهبي الحلول
 والتناسخ وإبطالهما ، فقد قال بهما بعض الفرق ، وكان لهما من الخطر ما يقتضي
 عناية خاصة .

هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ، إن أريد إلا الإصلاح
 ما استطعت وما توفيقي إلا بالله .

محمود علي البسيبي

إن هذا المؤلف
 لم يشرح الفرق ولكنه متعصب
 لفرقة واحدة لا غير

نحو نويد موافق هذا وضع
 انما هي بدم راهايه دتنه مدني
 في رارة كتابه ما به من هذا محسوس
 بالخط والاداء السخيف

منشأ الفرق الإسلامية

جاء القرآن الكريم يدعو العقول إلى النظر ، ويحثها على أن تفكر ، وتقيس حاضر الأمم بماضيها ، وأن تترفع عن التقليد الذي لا يحمل بالإنسان ، ورفع صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام من قدر العقل في مواطن كثيرة ، فاعتقد المسلمون بحق أن الإسلام لا يعادى العقل بل يماشيهِ إلى أقصى حد ، فلما انتقل النبي عليه السلام إلى الرفيق الأعلى ولحق به أصحابه (أبو بكر وعمر) طرأت على الناس مسائل عدة اقتضت منهم النظر وإجالة الرأي ففعلوا ، لا يرون عليهم في ذلك إنما ولا حرجا ، جريا على سنة الدين في مخاطبة العقول ، والتعويل على النظر

من تلك المسائل مسألة الخلافة ومن هو أحق بها (أهم آل البيت أم سواهم) ومسألة قتل الخليفة الثالث بدون حكم شرعي وما عرا الأمة إذ فاجأها ذلك الحادث من رجة فكرية عنيفة طاحت بالروية وذهبت بكثير من الأفكار مذاهب شتى : فقام قوم يطالبون بدم عثمان ، ونشبت الحرب بين سيدنا (علي) والسيدة عائشة ، ثم قامت بين (علي) ومعاوية حروب شعواء ، وتبع ذلك انشقاق جماعة (علي) كرم الله وجهه بعد مسألة التحكيم في الخلاف بينه وبين معاوية في السنة السابعة والثلاثين للهجرة

+ وكان من الأسباب الباعثة على البحث والنظر والجدل بين المسلمين مسألة القضاء والقدر ، وهل الإنسان مختار في أعماله الأرادية أو مجبور عليها وهل مرتكب الكبيرة مؤمن أو غير مؤمن ، ومسألة البحث في معنى ما أضافه الكتاب والسنة إلى الله من أشياء توهم شبهه بالحوادث كالفوقية

والاستواء على العرش، والوجه واليد والعين، أو صفات يشركه فيها خلقه (١)
 (كالحياء والسمع والبصر والكلام، ومسألة القول في خلق (٢) القرآن الكريم
 أو قدمه، ثم كان من المسلمين من تزيا بزى الاسلام وأبطن الكيد له،
 حنينا إلى ملتهم الأولى (كعبد الله بن سبأ) فأوضعوا (٣) خلال المسلمين
 ييغونهم الفتنة، وخبوا في مسائل الخلاف ووضعوا، بل إن منهم من دس
 على المسلمين أحاديث كثيرة نسبها كذبا إلى الرسول عليه السلام ليوهن
 العقيدة، ويكس على الناس دينهم، ومنهم من استعان بالأحاديث يروج
 بها مذهبه، ويقارع بها خصمه، فكثر الوضع في الحديث، وزادت مسألة
 الخلاف اتساعا

ولما ترجمت كتب الفلسفة زمن (الرشيد والمأمون) وكان الخلاف
 في مسائل علم الكلام المتقدمة بالغاً أشده، تعلم الفلسفة واشتغل بها قوم
 من المسلمين، إما ليردوا بها على مذاهب الفلاسفة والدهريين القائلين بقدم
 العالم مثل (ديموقراط) وإما ليتقوا بها على مجادلهم من المسلمين، وبدهى
 أن هذا يزيد الجدل والخصومة، ويوسع مسافة الخلاف

وفي خلال ذلك غلا بعض الطوائف التي ولدها الخلاف حتى ابتدعوا
 أقوالا خرجت بهم عن دائرة الاسلام كالقائلين بالحلول أو التناسخ من
 السبئية والحائطة من المعتزلة والقرامطة والباطنية

كل ما تقدمه الأسباب من شأنه أن يولد الخلاف الذي يجر إلى تكون الأحزاب
 والطوائف، فكان من أثر ذلك تكون الفرق الاسلامية كالشيعة والخوارج

(١) هذا الاشتراك في الاسم فقط

(٢) كانت هذه المسألة في زمن المأمون فالمعتصم فالوائق وكلهم كان معنيا بها وكانت
 فتته شديدة أودى فيها خلق كثير كالامام أحمد فلهما تولى المتوكل رفع هذه الحنة وصرف

الناس عن الخوض فيها

(٣) أسرعوا

والمعتزلة وأهل السنة ، والجبرية والمرجئة ، والمشبهة وغيرهم ، أما ما سبق ذلك من خلاف المسلمين على المكان الذي يدفن فيه الرسول ، أو خلاف المهاجرين والأنصار على من هو من الفريقين أولى بالخلافة ، أو الخلاف في محاربة مانعي الزكاة فلا يعد خلافا بالمعنى الذي يحدث افتراقا أو يولد عداوة وبغضاء

الحكم على تلك الفرق من الوجهة الدينية

قال ابن حزم^(١) في الملل والنحل ما ملخصه : (اختلف الناس في هذا الباب ، فذهبت طائفة إلى تكفير كل من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد أو الفتيا ، وذهبت طائفة إلى تكفير المخالف في البعض ، وتقسيمه في البعض الآخر ، وذهبت طائفة إلى أن من خالفهم في مسائل الاعتقاد كافر ، ومن خالفهم في مسائل الأحكام والعبادات ليس بكافر ولا فاسق ، ولكنه مجتهد معذور إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران ، وقالت طائفة أخرى إن من خالفهم في الاعتقادات كافر إن كان الخلاف في صفات الله تعالى ، وإلا فهو فاسق ، وذهبت طائفة غير هؤلاء إلى أن المسلم لا يكفر ولا يفسق بقول قال في اعتقاد أو فتيا ، وأن من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما اعتقد أنه الحق فهو مأجور على كل حال . ثم قال (ابن حزم) والحق أن من ثبت له عقد الاسلام لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع ، وأما بالدعوى والافتراء فلا موجب لأن يكفر أحد بقول قاله ، ما لم يخالف ما صح عنده أنه من كلام الله أو الرسول سواء أ كان ذلك في عقيدة أو نحلة أو فتيا ، وسواء أ كان ذلك الذي خالفه من كلام الرسول الذي علم بصحته من المتواتر أو المجمع عليه أو من نقل الآحاد

(١) هو الامام علي بن أحمد بن حزم الظاهري الاندلسي توفي سنة ٤٥٦ هـ

غير أن مخالف الحديث المجمع عليه يقينا أدخل في باب الكفر ولا حجة له ومجمع على تفكيره لمخالفته الاجماع الذى اتفق الجميع على معرفته . ثم قال : وكذلك من قال بالتجسيم جاهلا ، أو متأولا ، فهو معذور ويجب تعليمه ، فإذا قامت عليه الحجة من الكتاب والسنة فعاند فيهما فهو كافر .

وأما القائلون بحلول الله تعالى في جسم من الأجسام ، أو أنه شخص بعينه ، أو أنه ستكون رسالة بعد رسالة خاتم النبيين فلا خلاف في كفرهم لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل واحد ، ولو أمكن أن يوجد أحد لم يعرف الحق في هذا ، ولم يبلغه قط خلافه لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة . وأما تكفير الناس بما تؤول إليه أقوالهم خطأ . لأنه كذب على الخصم ونسبته إلى قول ما لم يقله .

فلا يكفر أحد إلا بنفس قوله ونص معتقده ، ولا تثريب على أحد أن يعبر عن معتقده بعبارة يحسن بها قبحه لكن لا يحكم عليه إلا بمقتضى قوله فقط .

ومن جحد شيئا صح بالاجماع أن النبي أتى به فقد كفر ، ومن استهزأ بنبي أو ملك أو آية من القرآن أو فريضة من الفرائض فهو كافر .

ثم أجمل (ابن حزم) القول في هذا الموضوع فقال :

« إنه لا يكفر أحد حتى تبلغه الدعوة ، فان بلغته ولم يؤمن بها فهو كافر ، فإن آمن بها ثم اعتقد ما شاء في فتيا أو نحلة دون أن يبلغه حكم ذلك عن النبي عليه السلام فلا شيء . عليه حتى يعلم الحقيقة ، فان علمها وصح عنده مجيئها عن النبي عليه السلام فخالفها مجتهدا فيما لم يعرف فيه وجه الحق فهو مخطئ . معذور مأجور ، وان خالفه بالعمل معاندا للحق مع اعتقاده

خلاف ما يعمل فهو مؤمن فاسق ، وإن خالفه معاندا جاحدا بقوله وقلبه
فهو كافر سواء في ذلك العقائد والفتيا . تم تلخيص كلام ابن حزم .
وجاء في كتاب (الفرق بين الفرق) لأبي منصور ^(١) بن طاهر
البغدادي ما ملخصه : —

(الصحيح أن السنن الموحدة هو الذي يعتد حدوث العالم وتوحيد
صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي الشبه عنه ويعتد بنبوته محمد
عليه السلام وأنه رسول إلى الناس كافة وأن كل ما جاء به حق وأن القرآن
منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة فمن أقر بذلك لا يشوبه ببدعة
تؤدي إلى الكفر فهو مسلم موحد .

ويعد كافرا من قال بالهية الأئمة أو قال بالحلول أو التناسخ أو أباح
محرمات على تحريمه كمنكاح بنات البنين وبنات البنات أو حرم ما أباحه
القرآن بالنص الذي لا يقبل التأويل أو قال بنسخ الشريعة الإسلامية . اهـ
وهانذا أشرع في الموضوع مستعينا بالله فأقول :

إن الفرق الإسلامية الكبرى خمس : أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة ،
والشيعة ، والخوارج . وبعدها طوائف عدة عرفت بأسماء تشير إلى
مذاهبها كالجبرية (المجبره) والقدرية والمقوضة والمشبهة والمجسمة وهناك
غير هذه طائفتا (الباطنية والقرامطة) ولهما صفة خاصة ^(٢) وإن كانتا
تستقيان من منبع الشيعة الغلاة ، ومعظم هذه الفرق مشتق من الخمس
الرئيسية أو خليط من رجالها كما سيتضح من إيراد كل فرقة وما تتحلل
من عقيدة .

(١) توفي في اسفرايين سنة ٤٢٩ هـ

(٢) السكك مجمعون على تكفيرهم كما سيتضح من قراءة مذاهبهم الخاطئة

وقد انقسمت كل فرقة أقساما كثيرة على تباعد أو تقارب بينها في التمسك بأصل المذهب الذي تتبناه ، عدا أهل السنة فإنهم لم يفتروا إلا يسيرا في مسائل قليلة من العقائد أو طرق الاستدلال أو الحلال والجرام ، وليس فيما حدث من هذا تضليل ولا تفسيق ، ولا ضرب لذلك مثلاً هذه المسألة :

يرى (الأشاعرة) أن صفات الأفعال حادثة لأنها عبارة عن تعلقات القدرة التجيزية الحادثة ويخالفهم (الماتريدي) أتباع أبي منصور الماتريدي الحنفي بقولهم إن صفات الأفعال هي (صفة التكوين) ، وهذه عندهم صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى يكون بها الإيجاد والاعدام (كالرزق والخلق مثلاً) فهذا كما ترى خلاف . ولكنه خلاف لم يصدع عصا (الجماعة) ولم يفرق كلمتهم ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى انتهى إلى وئام وإغضاء وتضايف على رد ماخالف رأى (أهل السنة) من آراء في فرق أخرى غالت في القول ، وتفرقت شيعا يكفر بعضها البعض في أكثر الأحوال .
وإليك كلمة في تاريخ كل فرقة وبيان أرائها : —

١ — أهل السنة

رأس هذه الفرقة هو الإمام (أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري) ولد سنة ٢٦٦ هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٤٠ هـ وثلاثين وثلاثمائة كان أول أمره حنفي المذهب تلميذاً للجبائي المعتزلي ثم خالفه في مسألة القول بوجوب الصلاح والأصلح على الله :

حكى أن (الأشعري) سمع أستاذه (الجبائي) يقرر مسألة وجوب الصلاح والأصلح فقال . انقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعاً ومات

الثاني عاصيا ومات الثالث صغيرا ؟ فقال الجبائي الأول يثاب في الجنة ،
والثاني يعاقب في النار ، والثالث لا يثاب ولا يعاقب . فقال الأشعري فأن
قال الثالث لم أمتي صغيرا ولم تبقى حتى أكبر فأطيعك لا ثاب في الجنة ؟
فقال الجبائي : يقول الله إني كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فدخلت
النار فكان الأصاح لك موتك صغيراً فقال الأشعري فأن قال الثاني :
يارب لم لم تمتني صغيرا اثلا أعصى فأدخل النار فإذا يقول الرب ؟ فهبت
الجبائي ومن ذلك الوقت تركه الأشعري واشتغل هو ومن معه بأبطال آراء
المعتزلة ، ووقف للدفاع عن العقيدة الإسلامية في وجه أرباب الآراء
المضلة من الفرق الأخرى ، حتى قيل كان المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى
أظهر الله الأشعري خبسهم في أقمار السماسم وقد شك فيه الناس أولا لأنه
قريب عهد بالاعتزال ثم لم يلبثوا أن ركنوا إلى آرائه ، وكان ينهج منهجا
وسطا بين مذهب الاعتزال المغالي في نفس صفات الله وبين مذهب الغلاة
في إثبات الصفات (حتى أدى الأمر بطائفة من الناس إلى أن شبهوا الله تعالى
بخلقه ، وقالوا بالتجسيم في ذاته العلية) وانحاز إلى مذهب الأشعري طائفة
كبيرة من صفوة العلماء وناصريه ، منهم القاضي أبو بكر الباقلاني المكي ،
وأبو الحسن بن فورك ، وأبو اسحق الاسفراييني ، وأبو اسحق الشيرازي ،
وأبو حامد الغزالي ، والفخر الرازي ، ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني
وغيرهم ، فاعتنق الناس مذهب الأشعري وسموه (رأي أهل السنة والجماعة)
وانتشر مذهب الأشاعرة بالعراق ثم بالشام ثم بسائر ممالك الدولة الأيوبية
التي كانت تعاضده ثم ببلاد المغرب على يد (ابن تومرت) الذي رحل إلى
العراق وتلقى فقه الأشاعرة على الإمام (أبي حامد الغزالي) وعاد إلى بلاده
فأقنن المذهب الذي صار (بعد زمن) مذهبا شائعا في تلك الجهات

وأهل السنة يقولون بصفات المعاني لأعلى الوجه الذى جر إلى التجسيم
كما تقول المشبهة بل على وجه يليق بوحديته تعالى فلا يقال هي هو ولا هو
هي ويقرون بالكتب السماوية والمعاد والحياة الآخروية وما فيها من صراط
وميزان وجنة ونار لا تفنيان ونعيم لأهل الجنة دائم وشقاء لأهل النار مقيم ،
ويثبتون للعبد كسبا واختيارا فى أعماله الاختيارية لا يخرجان به عما قدره الله
وعلمه وأراد به بحيث لا يصير خالقا لأفعال نفسه فلا تأثير لقدرة العبد فى
أعماله الاختيارية ، بل الكل مخلوق لله بلا واسطة ، كما أن قدرة العبد مخلوقه
له تعالى ، وإنما للعبد اختيار وميل وقصد فى كل مايزاوله من الأعمال الاختيارية
لأعلى أن ذلك يعد منه إيجاداً واختراعاً وهذا هو ما يسمى بالكسب
والاكتساب فأفعال العباد الاختيارية تتعلق بها قدرة الله تعالى الإيجاد
وقدرة العبد على وفق إرادته تتعلق كسب ، وليس لقدرة الحادثة تأثير بل
لها مجرد المقارنة للفعل الذى يخلقه الله عندها لا بها كما يخلق الحارق عند
مماسه النار للحطب ، وقوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) إنما هو
من قبيل الجمع بين الحقيقة والحجاز ونقل عن (الباقلاني) أن قدرة العبد أثرت
فى فعله بما يجعله طاعة أو معصية والكل متفقون على افتقار العبد الى عون
ربه وأن قدرة العبد لا تستقل بالتصرف ، " وأن قدرة الله مرجع جميع الكائنات " ✓
فلا شيء سواها يستطيع إعانة العبد أو يحول بينه وبين ما يحاول ، وقد
عرفوا الشكر بأنه (صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق له) ،
ولست قدرة العباد إلا نعمة ، أنعمها الله عليهم ، فهم يصرفونها فيما خلقت
له على حسب إرادتهم ، مستمدين منه العون والسداد ، فما يك من عمل
أتوه فإن مرده إلى الله الذى وهبهم القدرة وأمدهم بالمعونة ، وفرق بين
هذا وبين من يقولون باستقلال فى أفعاله وخلقه الحقيقى لجميع أعماله الاختيارية

إذ قول هؤلاء مخالف للآية الكريمة (والله خلقكم وما تعملون)
ومع أن جميع الأفعال من الله لا يحسن من باب الأدب أن ينسب
إليه إلا الحسن قال تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من
سيئة فمن نفسك)

هذا ومما تقرر أن قدرة الله فوق كل قدرة فهي مرجع جميع
الكائنات وإليها يفرع العبد إذا سدت في وجهه المسالك ، وأعيته
الحيلة ، ومن آثار قدرة الله ما يحول بين العبد وبين غايته من العمل بعد أن
يكون قد أخذ للعمل أهبة ، وعلم الله تعالى محيط بالعبد وما يقع منه بارادته
وبما يقع من الأعمال وما يتخذ في سبيلها من فكر وتدبير وأن عمل كذا
يتم أو لا يتم ، وفي أي وقت يكون ، وكون العمل خيراً أو شراً ، وليس ذلك
العلم بظاهر للأنسان على سلوك خطة معينة ولا بصارف له عن طريق
يسلكه ، فلا جبر ولا إرغام ، (وكون ما في علم الله يقع لاحالة إنما جاء من
حيث أنه الواقع والواقع لا يتبدل)

ويقول أهل السنة أيضاً برؤية الله في الآخرة بلا كيفية ولا انحصار
لورود صريح القرآن والسنة بذلك ولعدم إخلال الرؤية بتنزيه الله تعالى
(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال عليه الصلاة والسلام (إنكم
سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر) فالصراحة في الآية والحديث
واضحة ، ولا تتنافى الرؤية (كما قررها أهل السنة) مع تنزيه الله تعالى عن
التحيز والجهة ومشابهة الخلق ، فليس هناك جهة ولا تحيز ، ولا بصر
بالمعنى المعروف ، ولا إحاطة راء بمرئي ، بل الرؤية فضل من الله يعطيه من
يشاء من عباده الذين أرضوه بالطاعات فأرضاهم بالرحمة والرضوان وبالتجلى
عليهم يوم التناد بلا كيفية ولا انحصار على ما هو معهود في رؤية الأجسام

فيحار أولئك المقربون فيما يشملهم من العظمة والنور والجلال إذ ذاك فيذهل الواحد منهم عما عدا الله ، وهذا هو المراد بقوله تعالى (لا تدركه الأبصار) ويقولون إن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسان أما العمل فشرط لكمال الإيمان ، وصاحب الكهيرة إذا خرج من الدنيا ولم يتب من ذنبه فحكمه إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، وأنه لا يجب على الله شيء أصلا فلا يجب عليه فعل الصلاح والأصلح إذ هو الفاعل المختار يتصرف في ملكه كيف يشاء ، وإن كان فعله جل جلاله ليس عبثا ولا يخلو من حكمة وإن خفيت عن العقول وحجتهم أنه لو وجب عليه الصلاح (كالإيمان المقابل للكفر) والأصلح (كتنسيير المؤمن لنهاية الطاعات لينزل أعلى منازل الجنة) لكان مكرها ، وقد ثبت أنه تعالى مرید مختار لا معقب لحكمه وهو الحكيم في فعله الخبير بمصالح خلقه ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

ويقولون إن بعثة المرسل جائزة في حق الله لا واجبة عليه يرسلهم الله رحمة بعباده ليهدوهم الصراط المستقيم ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل

ولهم في شأن الالفاظ المضافة الى الله في الكتاب والسنة مثل الفوقية والاستواء والنزول الى سماء الدنيا والاصبع والصورة والوجه واليدين طريقتان احدهما طريقة السلف (وهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين) ومؤداها تفويض المعنى المراد منها الى الله مع اعتقاد تنزيهه عن صفات الحوادث والاخرى طريقة الخلف (وهم من بعد السلف) ومؤداها تأويل معنى اللفظ الى ما يليق بمقام الألوهية ولا يكون معه إيهام تشبيه بالحوادث مثال ذلك (يخافون ربهم من فوقهم) فالسلف الصالح يقولون فوقية لانعلمها تليق بجلاله تعالى والخلف يقولون المراد بالفوقية الارتقاء والتناهي في العظمة وهكذا الى غير ذلك من العقائد التي تكفلت بها كتب علم الكلام .

ووضعوا^(١) علم الكلام على دعائم من الأدلة العقلية والنقلية حفظته إلى الآن من محاولات المبطلين، ولكن الأشاعرة أوجبوا على الناس معرفة الأدلة التي تذرعوها بها إلى إثبات العقائد، فعندهم أن الجهل بالدليل يؤدي إلى عدم المدلول، ومضى الناس حقبة من الزمن على ذلك حتى قام نفر من أهل السنة كالغزالي والفخر الرازي وحلوا الناس من هذا القيد وقالوا قد يكون في الدليل الذي تقرر عند الأشاعرة ضعف أو قد يوجد عند سواهم أقوى منه إذ قد تقتضي الأحوال تعديله أو تبدله تبعاً لتطور العلم والمعارف فلا معنى للحجج على العقول، وليستدل الناس على العقائد بما هداهم إليه المنطق والعقل السليم مادامت النتيجة رسوخ العقيدة وثبات اليقين.

٢ - المعتزلة

أصل هذه الفرقة (واصل بن عطاء) الملقب بالغزال^(٢) ولد في سنة ٨٠ هـ ومات في سنة ١٣١ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك وهم غلاة في نفى الصفات الإلهية فسموا من أجل ذلك (معطلة) فيقولون مثلاً إن الله سميع بذاته بصير بذاته لا بصفة ويقولون بالحسن والقيح العقليين.

يريدون بذلك أن الشيء يجب فعله لما في ذاته من الحسن، ويجب تركه لما في ذاته من القبح، والأول يوجب العقل والثاني يحيله العقل. وأهل السنة ينازعونهم في ذلك لأن العقول تتفاوت في درجة الحكم على الأشياء لا اختلاف الأمزجة وضعف قوى العقل كلها أو بعضها عند بعض الناس ولأنه كثيراً ما يتأثر الحكم بالمؤثرات الخارجة عن العقل كالمطامع

(١) وضع علم الكلام الأشعري ومن تبعه، وأبو منصور الماتريدي ومن تبعه

(٢) لقب واصل بالغزال لأنه كان يلازم حوانيت الغزالين

واختلاف البيئات ودرجة الثقافة قوة وانحطاطا ، فقد يرى العقل الكامل أن يصل الى السعادة بالجد والاستقامة واحترام الحقوق ، ويرى في الوقت نفسه عقل آخر أن أسهل طريق لها العدوان على الغير وانتهاك مآلئس فيه حق ، فالعقل وحده لا يكفي لتبيين الحسن والقبح بل لابد من مرشد ينير أمامه السبيل ويعضده في أداء واجبه وذلك المرشد هو نور النبوة الذي يفيضه الله على عباده تفضلاً منه ورحمة فيرسل به الرسل مبشرين ومنذرين ويقول المعتزلة بوجود مرتكب الكبيرة في منزلة بين الكفر والإيمان ويخلود مرتكبها في النار ويمعدونه فلسقاً لأنهم يقولون إن جميع الطاعات من الإيمان..

أما جمهور أهل السنة فعلى أن الإيمان هو (التصديق بالقلب) والنطق شرط لصحة الإيمان أو لأجراء الأحكام الدينيوة ، وأبو حنيفة وبعض الأشاعرة على أن الإيمان هو (التصديق والنطق معا) فالنطق على هذا شرط من الإيمان ، وأما العمل فشرط لكمال الإيمان على كلا الرأيين^(١)

وبين من هذا أن مرتكب الكبيرة لا يتجرد من الإيمان وإن لم يكن كامل الإيمان ، فمن مات ولم يتب من كبيرة ارتكبها فأمره الى الله إن شاء

(١) والراجح عند أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص بزيادة الطاعات أو نقصها ، لقوله تعالى : (وإذا تلئت عليهم آياته زادتهم إيماناً) والذي يقبل الزيادة يقبل النقصان (إلا لعارض كعصمة الأنبياء) ولقوله عليه السلام وقد سئل هل يزيد الإيمان وينقص : (نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار) ويرى جماعة منهم (أبو حنيفة) وأصحابه أنه لا يزيد ولا ينقص وتناولوا أدلة الزيادة والنقص ، وهذا والمعتمد أن الإيمان والاسلام متلازمان شرعاً (فكل مؤمن مسلم وبالعكس) ومتغايران لغة (كما هو واضح) ومفهوماً (إذ الإيمان تصديق وإذعان) ، و (الاسلام امتثال الأوامر والنواهي بناء على التصديق والإذعان) ، وقوله تعالى (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) يؤول الاسلام فيه على الانقياد الظاهري فقط ، والتلازم بين الإيمان والاسلام المعبر شرعاً .

عفا عنه وإن شاء عذبه ثم هو غير خالد في النار كالكفار .

ويقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وقد أسلفت الرد عليهم في الكلام على مذهب أهل السنة .

ويقولون إن إحدى الطائفتين من أصحاب الجمل^(١) وصفين في النار لا يعينون واحدة ، وأهل السنة يؤولون النشاجر بين الصحابة تأديبا واحتراما لصحبتهم للنبي عليه السلام وحسن بلائهم في نشر دعوة الإسلام واستبعادا للهوى عن نفوسهم ، ويقولون الكل مجتهد ينشده مصلحة الإسلام والمسلمين وقال المعتزلة بخلق القرآن الكريم ، ويرد أهل السنة عليهم بقولهم إن الدلالات (وهي الألفاظ التي نقرأها) حادثة لأننا نتلوها بالاستئناس ونكيفها بأصواتنا وهي في حين القراءة قائمة بالحادث (ومعنى حدوثها أن الله خلقها وليس لأحد في أصل تركيبها كسب ما) وأما مدلول القرآن (وهو الصفة النفسية القائمة بذاته تعالى) فقديم بلا جدال والفرق بين القراءة والمقروء كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر حادث والمذكور قديم ومع ذلك تورع كثير من العلماء ومنهم الإمام (أحمد) عن القول بذلك حين أثرت هذه المسألة زمن المأمون ومن بعده فلقوا من ذلك أذى كثيرا . وفضلوا رحمهم الله الأذى على أن يقولوا بخلق القرآن حتى دلالاته لثلاثا ينجّر بعض الناس إلى اعتقاد خلق الصفة القديمة فأَن كلام الله يطلق على الصفة القديمة

(١) أصحاب الجمل (علي والسيدة عائشة وطلحة والزبير) ومن اشتركوا في حرب الجمل وأهل صفين (علي ومعاوية) ومن معهما

(٢) سجن (ابن حنبل) وضرب بالسياط حتى غشى عليه زمن المعتصم وفر البخاري وهو يقول (اقبضني إليك غير مقتون) وسجن (عيسى بن دينار) عشرين سنة

القائمة بذاته تعالى ويطلق مجازاً أو بالاشتراك على القرآن الذي نقرؤه ومن هنا تورّعوا عن القول بخلقه .

وينكر المعتزلة (رؤية الله في الآخرة) وقد تقدم الرد على هذا حين الكلام على أهل السنة كما تقدم الرد هناك أيضاً على قول المعتزلة بوجوب فعل الصلاح والأصلح عليه تعالى .

ومن شيوخ المعتزلة (ابراهيم ^(١) بن سيار النظام) الذي يقول إن الأجماع ليس حجة ، وإن إعجاز القرآن إنما هو من حيث إخباره بالمغيبات فحسب ، وفاته أن من أهم وجوه أعجاز القرآن (على كثرتها) معانيه الرائعة وسمو عبارته وبلوغ أسلوبه درجة من الفصاحة والبلاغة والانسجام أعجزت عن مضاهاتها فطاحل العرب الذين نشئوا في مهد البلاغة وتحداهم القرآن أن يأثروا بعشر سور مثله أو بسورة واحدة فحاولوا جاهدين ثم قعدوا عاجزين مأخوذين برائع لفظ القرآن وبديع أسلوبه وسمو معانيه وهذا دليل عظيم على أنه ليس من كلام مخلوق وليس من جنس أساليب العرب (التي اعتادوها وألفوا القول بها واستطاعوا التصرف فيها) .

ويقول بوجوب معرفة الله ^{بالمقل} قبل مجيء الشرع وهذا منه مبالغة في حسن الظن بالعقل البشري الذي يعجز في كثير من الأحوال عن إدراك وجوه الخير والشر في الأشياء الدنيوية العادية فكيف به في الأمور الدينية وبخاصة في معرفة الله تعالى على الوجه الذي يؤمن معه العشار وتصرح به الديانات ؟ ! بل كثيراً ما هتدت العقول بهادي النبوات فعرفت الله تعالى ولما طال عليها الأمد انثنت سريعة إلى حظيرة الشرك وعبدت

(١) الأشعري ثلاثة كتب في الرد عليه ، وللتلاف المعتزلي كتاب في الرد عليه في بعض آرائه ، ولانظام آراء كثيرة خالف فيها أهل السنة وتوفي سنة ٢٢١ هـ

الأصنام وضأت ضلالا بعيدا فلو كانت وحدها مستعدة لمعرفة الله حق المعرفة لكان بقاؤها على معرفته بعد ما أرشدها الأنبياء أولى ولكننا شاهدنا ونشاهد خلاف ذلك كما في أهل الفترة ، والدهريين والماديين من الذين عطلوا عقولهم وراى عليهم الجهل وأخذهم زخرف التقليد .

ويقول (النظام) أيضا إن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى التى تقع من العباد وأنها غير مقدورة له وأهل السنة ينازعون فى ذلك لئلا يلزم نسبة العجز إليه تعالى ولكنهم يرون أن ينسب الخير إليه والشر إلى فاعله تأدبا فقط ، قال تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وأما قوله تعالى (قل كل من عند الله) فمن باب مراعاة الحقيقة فأنت ترى أن المعتزلة يربثون به تعالى عن نسبة الشر أصلا ، وأهل السنة يربثون به عن مظنة العجز .

ومن رءوس المعتزلة (أبو الهذيل محمد العلاف) كان مشتغلا بالفلسفة ومن شيوخ المعتزلة ومقدميهم ويرى أن كل عاص كافر لأن الطاعة عنده من الإيمان وقد تقدم الرد على نحو هذا الرأى من آراء المعتزلة ، وله مقالة غريبة ، وهى زعمه أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع حتى يصيروا إلى سكون دائم ثم لا يزالون مع ذلك فيما كانوا فيه فيتمتع أهل الجنة بنعيمها ويشقى أهل النار بعذابها ، ولا أدرى كيف يشعر بالنعيم أو الشقاء من فقد حركته وطال سكونه فكان كالمفلوج أو كالجماد ؟ !

ومن أقواله القول بجواز وقوع طاعات كثيرة من الناس لا يراد بها وجه الله (كما تقول بعض فرق الخوارج) وقد أظهرنا فساد هذا الرأى عند الكلام على تلك الفرقة الخارجة

ولمقاتلات (أبى الهذيل) وشرفه فى بعض آرائه تعرض للرد عليه بعض أصحابه المعتزلة (فلاح زدار) كتاب كبير فى فضائح (العلاف)

وتكفيره بما انفرد به من الضلالات ، و (لجعفر بن حرب) كتاب (توبيخ
أبي الهذيل) أشار فيه إلى تكفيره

ومنهم (جعفر بن مبشر) الذي يرى أن في فساق هذه الأمة من هم
شر من الجوس ، وأن صفائر الذنوب توجب تخليد صاحبها في النار ، وهذا
كما ترى زيادة في التشدد وإيثاس من رحمة الله الذي يقول (لا تقنطوا
من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم)

ومنهم (المزدار) وهو (عيسى بن صبيح) الملقب (براهب المعتزلة)
لشدة تقشفه وزهده ، قال بخلق القرآن الكريم وغالى في ذلك حتى كفر
من قال بقدمه ، وقال أن من أجاز رؤية الله بالأبصار بلا كيف فهو كافر
والشاك في كفره كافر ، وقد بنيت قول أهل السنة في رؤية الله وتقدم
القول في مسألة القرآن الكريم

ومنهم الحائطية المنسوبون إلى (أحمد بن حائط) أحد أصحاب النظام
وقد قال فيما نقل عنه من الآراء بتناسخ الأرواح ، ولطول الكلام على
التناسخ والحلول (الذي سيأتي ذكره في الشيعة) أرجأت الكلام فيهما إلى
إلى آخر الكتاب ، وقال أيضا بأن كل نوع من الحيوان أمة كالإنسان وفي كل
أمة رسول من نوعه

ولا حجة (لأحمد بن حائط) في قوله تعالى (وما من دابة في
الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من
شئ ثم إلى ربهم يحشرون) ولا في قوله تعالى (وإن من أمة إلا خلا فيها
نذير) فمعنى الآية الأولى أن جميع الدواب والطيور طوائف مختلفة مثل
بنى آدم في أنها ذات نُظم معاشية ، وخطط تجري على حسبها في السعى
على الرزق ، واتخاذ الحيلة لبقاء النوع ، وسلوك مسالك السداد في حفظ
أمورها بما ألهمها الله من غرائز ترعى بها مصالحها ، وتكف بها عوادي الباغى

على جماعاتها وَخَتَّطُ أَحْسَنَ الطَّرِيقَ لِحَيَاتِهَا الاجتماعية ، وكل ذلك تقدير العزيز العليم ثم هي بعد ذلك تشمل الباغي الذي يسطو على أقوات غيره ويعتدى على حياته وذا الشوكة والذكاء الذي يرد كيد البغاة ، وينظم الأساليب لحياطة نوعه ، والمحافظة على كيانه كما يشاهد في جماعات النحل ، وكل هذه الدواب والطيور سوف يلحقها الفناء بالموت ثم تحشر إلى بارئها ، فيتصنف للضعيف من القوى حتى بلغ من عدله تعالى أن يأخذ للجماء من ^(١) القرناء ثم يستحيل الكل ترابا (وقيل معنى حشر الدواب والطيور فناؤها بالموت) أما أن تكون الدواب والطيور مثل الانسان في احتمال أمانة التكليف والاستماع لشريعة سماوية يوحى بها إلى دابة أو طائر فما لا يجوزه العقل سواء أكان من ناحية عدم استعدادها لقبول ذلك أم من ناحية عدم استعداد بعضها لتلقى الرسالة والدعوة إلى شريعة ذات قواعد وأصول ، ولا قبل لها بذلك نعم قد وصفت الحيوانات بالذكاء وتفاوتت فيه ، ولكن ذلك عائد إلى الغرائز لا إلى العقل (الذي هو الشرط الأول في التكليف وتحمل أعباء الشرائع) ، وقد منع أهل السنة أن تكون النبوة لغير الرجل فما بالك بدابة من دواب الأرض أو طير يسبح في الفضاء ؟ وأما الآية الثانية فالمراد (بالأمة) فيها من سبق أمة نبينا عليه الصلاة والسلام من الأمم الغابرة كقوم عاد وثمود وقوم فرعون وسواهم ، كما يفهم من سياق الآية الكريمة وكما يبدو لكل ذي بصر بالقرآن الكريم ؛ فهي من قبيل ما يساق ليتأني به النبي (عليه السلام) ولا تذهب نفسه حسرات على من عاندوا وضلوا وعموا عن نور الهدى ، ودعوة الحق ؛ فقديما دعيت أمم على لسان أنبيائها فضلت ؛ وقريب منها قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) وقوله (فإنما عليك

(١) القرناء ذات القرن والجماء غيرها

البلاغ وعلينا الحساب) تأمل سياق الآية الكريمة فيما يأتي :
 (ومن تزكى فأتما يتزكى لنفسه ، وإلى الله المصير ، وما يستوى الأعمى والبصير
 ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا
 الأموات ، إن الله يسمع من يشاء ، وما أنت بمسمع من في القبور ؛ إن أنت
 إلا نذير ، إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، وإن من أمة إلا خلا فيها
 نذير ؛ وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم ؛ جاءتهم رسالهم بالبينات
 وبالزبر وبالكتاب المنير) تأمل هذا السياق ، وانظر قوله تعالى (وإن يكذبوك
 فقد كذب الذين من قبلهم) مع قوله (فأتما يتزكى لنفسه) يتضح لك ما قدمناه
 ويظهر لك خطأ (الحائطية) في احتجاجهم بهذه الآية الكريمة مع بعدها
 الشاسع عما يحاولون .

وأما التجاؤم إلى حديث (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت
 بقتلها) فلا صلة له بدعواهم فقد بين لك في (شرح الآية الأولى) المعنى الذى
 يطمئن إليه العقل والذوق فى معنى (الأمة) فكل ما فى الحديث الذى تمسكوا
 به الدلالة على رقة قلب النبي عليه السلام وكال شفقتة ، حتى على غير
 الإنسان ، وهل كون الكلاب (أمة) بالمعنى المعقول الذى أسلفناه يقتضى
 أن يكون لها رسل وأنبياء ؟ !

ومن المعتزلة (عمرو بن بحر الجاحظ^(١)) الذى يقول بأن العباد
 لا يخلدون فى النار وإنما يصيرون من طبيعتها وأن الله لا يدخل
 العباد النار وإنما هى التى تجذبهم إليها . وماذا يقول فى قوله تعالى
 (ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك قال إنكم ما كشون) فهل يريدون
 بدعائهم شيئا سوى أن يستريحوا من العذاب المقيم وهل معنى رده
 عليهم بأنهم ما كشون إلا أن العذاب لا ينفك عنهم وأنهم باقون فى النار

يصلون عذابها (لا يخفف عنهم وهم فيه مبالسون) (أى آيسون) وماذا يقول فى قوله تعالى (خذوه فاعْتَلَوْه ^(١)) إلى سواء الجحيم) . (يوم يدْعُون ^(٢)) إلى نار جهنم دعًا) أليس معنى الآيتين أن يساق الكفار سوقا إلى جهنم . وهل يتفق هذا مع دعوى الجاحظ أنها هى التى تجذبهم إليها ؟

ويقول (الجاحظ) أيضا إن الله لا يريد المعاصي وهذا شبيهه بقول المعاصي (النظام) إن الله لا يقدر على المعاصي . ويحسن هنا إيراد هذه المحاوره ففيها الرد المقنع على دعوى الجاحظ

دخل القاضى (عبد الجبار بن أحمد المعتزلى ^(١)) على (ابن عباد) وزير (المعز) وعنده الإمام (أبو إسحق الإسفرايينى) من أهل السنة فقال (عبد الجبار) سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال (أبو إسحق) سبحان من لا يقع فى ملكه إلا ما يشاء . فقال (عبد الجبار) أريد ربك أن يعصى ؟ فقال أبو إسحق أيعصى ربك قهرا ؟ فقال (عبد الجبار) أرأيت إن منعى الهدى وقضى على بالردى أحسن إلى أم أساء ؟ فقال أبو إسحق إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فللملك يفعل فى ملكه كيف يشاء ؛ فقال الحاضرون ليس بعد هذا جواب

والجاحظ آراء أخرى لا ضرورة لسردها .

ومنهم أبو على (الجبائى) وكان يقول إن الله مطيع لعبده إذا فعل ما أَرَادَه العبد ، وهذا أمر لا يليق بإطلاقه على الله تعالى ، وإنما هو مستجيب لدعوة الداعى لا مطيع لأمره ، وقديما فرقوا بين مفهوم صيغ الطاب فان كان من الأدنى للأعلى سمي دعاء وإجابة الدعاء لا تعد طاعة بل قبولاً وفرق بين الطاعة والقبول ، والجبائى كان أستاذا للأشعرى .

(١) عتله جذبه بعنف (٢) يدفعون

وكان يقول بوجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى وقد كان هذا سبباً في انصراف الأشعرى عنه وتركه مذهب الاعتزال وتصدره لتفنيده آراء المعتزلة مما جعله زعيم أهل السنة وواضع علم التوحيد كما تقدم ومن المعتزلة (البهشية) أتباع (أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي) الذي يقول إن التوبة لا تصح من فعل قبيح إذا أصر التائب على فعل آخر يعتقد أنه قبيح ، ولا تصح التوبة من مصيبة مع الإصرار على منع حبة واجبة وأن توبة الزاني بعد ضعفه عن الجماع لا تصح (وهذا كله تشديد لم يقل به أحد) وإن الصلاة لا تجزئ في الأرض المغصوبة وطعن في إعجاز القرآن الكريم .

هذا وأول من ساهم المعتزلة (الحسن البصري المتوفى سنة ١١٦ هـ) لما حصل بينه وبين تلميذه (واصل بن عطاء) رأس المعتزلة ذلك الخلاف المشهور في مسألة مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أو كافر ؟ وقال واصل لا مؤمن ولا كافر بل في منزلة بين المنزلتين فقال الحسن (اعتزلنا واصل) فاعتزله من فوره وأخذ ناحية في مسجد البصرة يلحق مذهب الذي هو الأصل في الاعتزال

والمعتزلة بوجه عام يقولون بقدرة العبد واستطاعته ولذلك يسمون أحياناً التدرية^(١) ويقولون بنى صفات المعاني فيقولون الله عالم بذاته قادر بذاته وهكذا فسموا من أجل ذلك (معطلة) ويشددون النكير على مرتكبي المعاصي ، فيرون أن من مات غير تائب من كبيرة استحق الخلود في النار ولكن يعاقب بأخف من عقاب الكافر ولا حجة

(١) لفهم القدر نسبوا إليه

للمعتزلة (في دعواهم خلود صاحب الكبيرة في النار) بقوله تعالى (إنه من يأت ربه مجرماً فأن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأت مؤمناً قد عمل انصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى) فإن المجرم في هذه الآية وغيرها من آى الكتاب العزيز مراد به غير المؤمن أى (الكافر) فخلوده في النار أمر مقرر عند جميع المسلمين وليس المراد به الفاسق من مرتكبي الكبائر ، بدليل قوله تعالى (إن الذين أخرجوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكاهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين : فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون) فوصف المجرمون في هذه الآية بأنهم يقولون للمؤمنين (إن هؤلاء لضالون) يريدون أن المؤمنين ليسوا على حق فيما يعتقدون ، وهل معنى ذلك إلا أنهم مخالفون للمؤمنين في الاعتقاد ؟ وذلك هو الكفر الصريح ؛ ثم إن مقابلة المجرمين (بالكفار) في نهاية الآية دليل قاطع على كفرهم ، وقد حكى الله أوصاف المجرمين في آية أخرى بقولهم (لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) فهم كانوا غير مسلمين وكانوا يكذبون بيوم الدين حتى أتاهم اليقين (وهو الموت) وهذا أوضح الأدلة على كفر المجرمين وهكذا ترى القرآن الكريم جرى على التعبير عن الكفار بالمجرمين في مواطن كثيرة ، وبذا ينقطع ما تمسك به المعتزلة من دعوى خلود أصحاب الكبائر في النار

و
حفظ

وببالغ المعتزلة كثيراً في حسن الظن بالعقل حتى جعلوه قادراً وحده على معرفة كل الحقائق وتعرف وجوه الحسن والقبح في الأشياء قبل

ورود الشرع فالحسن عندهم ما حسنه العقل والقياس ما قبَّحه ، ويوجبون إرسال الرسل عليه تعالى

٣ - المرجئة

هم الذين يبالغون في إثبات الوعد (عكس المعتزلة المبالغين في إثبات الوعيد) يرجون المغفرة والثواب لأهل المعاصي ، ويُرجئون حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة فلا يحكمون عليهم بكفر ولا فسق ، يقولون إن الإيمان إنما هو التصديق بالقلب واللسان فحسب ، وإنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة

ويقال إن أول من قال بالإرجاء (الحسن بن محمد بن الحنفية) ولكنه لم يؤخر العمل عن الإيمان ، بل قال إن أداء الطاعات وترك المعاصي ليسا من الإيمان فلا يزول بزوالها ، وظاهر من هذا أنه لا يذهب بمذهب المرجئة من كل وجه وقيل أول من وضع الإرجاء بالبصرة (خسان بن بلال المزني) وقيل (أبو سلت السمان) المتوفى سنة ١٥٢ هـ

ومن المرجئة طائفة الثوبانية أتباع (ثوبان) المرجيء الخارجي الذي يقول إن الإيمان هو المعرفة والاقرار ثم يقول أن الإيمان فعل ما يجب في العقل فعله (وهو هنا يقول بمذهب المعتزلة) ومن المرجئة طائفة (الضرارية) أتباع (ضرار بن عمرو) الذي مع قوله بالإرجاء يقول إن الله تعالى يرى في الآخرة بحاسة سادسة

وأنت خير بما في مذهب المرجئة من تقريط ، وما في مذهب المعتزلة من إفراط ، وما في مذهب أهل السنة والجماعة من اعتدال وتوسط . روى أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (من هم المرجئة يا رسول الله؟ فقال

(هم الذين يقولون بالإيمان كلام) أى أنهم لا يعيرون العمل أقل اهتمام ،
وقد أسلفنا رأى أهل السنة فى العمل وأنه (شرط لسكمال الإيمان)

٤ - الشيعة

هم الذين شايعوا سيدنا عليا كرم الله وجهه ورأوه أحق بالخلافة
وكرهوا أبا بكر وعثمان رضى الله عنهم كما كرهوا معاوية والسيدة عائشة —
أظهروا بدعتهم زمن عثمان وعلى رأسهم (عبد الله بن سبأ) وهو يهودى
أسلم وغلا فى حب على حتى قال بالحلول فزعم أن روح الله حل فيه وأنه
أحق بالخلافة لقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفاه عثمان ، وقد
غلا بعض الشيعة فى حب سيدنا على حتى قالوا له (أنت الإله) وقيل إنه
أحرق منهم قوما ونفى رأسهم (ابن سبأ) إلى (المدائن)

وسمى الشيعة فيما بعد (روافض) لأن (زيد بن على بن الحسين)
امتنع عن لعن الشيخين (أبى بكر وعمر) وقد طلبوه منه حتى يظلموا على
نصرتة وهو محارب لهشام بن عبد الملك ، فقالوا نحن ما خرجنا معك إلا
لذلك ورفضوا رأيه وانفضوا من حوله فسموا (روافض) وقيل لأنهم
رفضوا رأى الصحابة فى الشيخين والمؤدّى واحد وافترقت الشيعة على
فرق شتى منها :

الزيدية — وهم يقولون بإمامة (زيد بن على بن الحسين) ، ومنهم فرقة
تسمى (الجارودية) أتباع (أبى الجارود) زعمت أن النبى عليه السلام نص
على إمامة على بالوصف دون الاسم ، يشيرون بهذا إلى قوله عليه السلام
يوم آخى بين المهاجرين والأنصار لسيدنا على (أنت منى بمنزلة هرون من
موسى) وكانوا يقولون كل من شهر سيفه ودعا إلى دينه من ولد الحسن
والحسين فهو الإمام .

والإمامية — ويقول أكثرهم بأن الإمامة في علي وأولاده بنص النبي عليه السلام وهم فرق شتى

والكيسانية — أتباع (كيسان) مولى (علي بن أبي طالب) ويقولون إن (محمد بن الحنفية) حى لم يميت وأنه المهدي المنتظر، ومنهم كثير الشاعر الذي لخص مذهبهم في قوله : —

ألا إن الأئمة من قریش ولاية العهد أربعة سواء
على والثلاثة من بنيہ هم الأسباط ليس لهم كفاء
فسبط سبط إيمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الجيش يتبعه اللواء
تغيب لا يرى عنهم زمانا برضوى عنده غسل وماء

يريد بالأخير (سيدنا محمد بن الحنفية)

والغلاة من الشيعة — قالوا بألوهية الأئمة واستباح بعض طوائفهم الحرمات وقالوا بمذهب الحلول (الذي سنعرض له بالرد آخر الكتاب) زاعمين أن روح الله حلت في الأئمة ومن هؤلاء (السبئية) أتباع (ابن سبأ) الذين قالوا إن (علياً) رضوان الله عليه حى لم يميت وزعموا أن الرعد صوته والبرق سوطه، وكانوا يقولون إذا سمعوا الرعد (وعليك السلام يا أمير المؤمنين) وأحدثوا القول برجمة (علي) إلى الدنيا، وبرجمة (الرسول عليه السلام) بعد موته.

ومن الغلاة من زعموا أن روح الله دارت في الأنبياء حتى صارت في (بيان بن اسماعيل التميمي) وأصحاب هذا الرأي يسمون (البيانية) وزعمون أن الإمامة صارت إلى (بيان) بعد (ابن الحنفية) بوصية منه فيقولون بتناسخ روح الله تعالى دون أرواح العباد، وقد صلب (خالد بن عبد الله القسري)

والى العراق (بياناً) هذا

ومنها (الجناحية) أنباع (عبد الله بن معاوية ذى الجناحين) كانوا يعتقدون أن روح الله دارت في الأنبياء كما كانت في علي وأولاده وزعموا أن كل ما في القرآن من تحريم الميتة والحمر ولحم الخنزير كناية عن قوم من أعداء (علي)

ومنها أيضاً (المفوضة) ينسب إليهم القول بأن الله خلق محمداً عليه السلام وفوض إليه خلق العالم وتدبيره وقال بعضهم بل كان التفويض إلى (علي كرم الله وجهه)

وأنت ترى في مذهب الشيعة جميعاً التعصب لسيدنا علي وذريته وبغض الخلفاء من قبله وكرهه كل من ناوأه ومنها من غلا في حب (علي) وبغض غيره حتى زلت به القدم ، فقال بالحلول والتناسخ — وسند كرفيا بعد طائفتين من الغلاة هما (الباطنية والقرامطة ومن إليهم) ونبين ما في مذهبهم من تطرف وزندقة وخروج على الدين .

هذا وقد تعصب لمذهب الشيعة دولة (آل بويه) التي قامت ببغداد سنة ٣٣٤ هـ ودولة الفاطميين التي ملكت مصر سنة ٣٥٨ هـ وكانتا تدينان برأى الشيعة فسعنا في نشر دعوتهم ولقى الشيعة في ظلال هاتين الدولتين حظاً كبيراً فانتشر رأيهم لذلك العهد ببلاد المغرب ومصر والشام والعراق واليمن والحجاز ، ولا تزال لهم جمهرة كبيرة بالجهات الشرقية في العراق وفارس وللازيدية منهم بقية كبيرة ذات سلطان ودولة في بلاد اليمن والإسماعيلية جمهرة كبيرة ببلاد الهند .

هـ - الخوارج

لما طلب (معاوية) وأصحابه في صفين^(١) من سيدنا (علي) أن يتحاكم الفريقان إلى القرآن الكريم سنة ٣٧ هـ تردد سيدنا (علي) في قبول دعوتهم غير مطمئن إلى ما قد تنطوى عليه من دهاء وحيلة يراد بهما تثبيط العزائم وتقريب كلمة جنده وأعوانه فحمله أصحابه على القبول ، فقبله نزولاً على رأيهم حتى لا يؤدي الرفض إلى الافتراق

روى (أن الأشعث بن قيس) و (مسعود بن فدكي التيمي) و (زيد بن حصين الطائي) قالوا لسيدينا (علي) : الناس يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعوننا إلى السيف ! فليترجم (الأشعث) عن قتال المسلمين أو لنفعلن بك ما فعلنا (بعثان) فأمر (الأشعث) بالكف عن القتال بعد أن كان النصر معقوداً بلوائه ، ثم أراد أن ينيب عنه في الحكومة^(٢) (عبد الله ابن عباس) فلم يرضوا بذلك وقالوا (هو منك) وحملوه على بعث (أبي موسى الأشعري) على أن يحكم بكتاب الله ، ولما جرى الأمر على خلاف الحق رفض قبول حكم الحكمين ، فخرج عليه فريق من أصحابه وقالوا لماذا حكمت الرجال ؟ لا حكم إلا لله . فقال الإمام (علي) (كلمة حق يراد بها باطل ، إنما يريدون لا إمارة ولا بد من إمارة برّة أو فاجرة) ثم لجأوا في إنكارها وانحازوا إلى (حرواء)^(٣) في جمهرة عظيمة وأعلنوا بذلك خروجهم على (علي ومعاوية) والحكمين وكل من رضى بالتحكيم ، فكانوا هم نواة (الخوارج) وعندهم أخذ غيرهم فكانوا خطراً يهدد جماعة المسلمين ، ووقعت بينهم وبين (علي ومعاوية وابن الزبير وعبد الملك والمأمون) وغيرهم حروب

(١) موضع على شاطئ الفرات بقرب الرقة (٢) قضاء الحكمين (٣) قرية بظاهر الكوفة

شعواء. أتت على عدد كبير من المسلمين ، وشردت فلول الخوارج في الآفاق وهم مع كل هذه الحروب وذلك النكال كانوا أشد تمسكا بدعوتهم وبغضا لمخالفهم ، وعناداً في القول ، وصلابة في الرأي ، واستبسالاً في القتال .

ولم يقف بهم هذا الخروج وتلك الثورة عند مخالفة (على ومعاوية) ومن والاهما ، بل تطرق إلى العقائد يستخدمونها في تكثير جموعهم ، والتفجير من مخالفهم ؛ فكانوا يرون تكفير من عداهم ، ووجوب الخروج على كل إمام جائر ، ويعدون مخالفهم كفاراً ؛ بل غلبا بعضهم فكفر أبناء المخالفين واستحل قتل النساء والأطفال ؛ فالقوم كما ترى ثائرون على الجماعة يرون الحق في جانبهم والباطل عند غيرهم . وبنوا على ذلك مذاهبهم الجاحمة وتعرضوا في هذه السبيل إلى كل محنة وكل نكال : من أسر وتقتيل ، وتشريد واضطهاد ؛ وهم مع ذلك أَرْضَى ما يكونون نفوساً ، وأسبق الناس إلى لقاء الموت ، يحسبون الجنة تحت بَرُوق السيوف ، ويرون أنهم شرّوا آخرتهم بدينهم حتى سموا أنفسهم (الشُّرّة).

ومن عجب أن يكونوا في المبدأ من الحاملين لسيدنا (على) على قبول التحكيم ثم تكون نتيجة قبوله عليه السلام سبباً لهذا العداة الذي أظهره له ولجؤ فيه

وقد حاول سيدنا (على) أن يردّهم إلى جماعته فأرسل إليهم (عبدالله بن عباس) لينظرهم لعلمهم يرجعون ، فقال (ابن عباس) :

ما الذي نقتّم على أمير المؤمنين ؟ قالوا قد كان المؤمنين أميراً فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان فليتب بعد إقراره بالكفر نعدّ له . فقال (ابن عباس) لا ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر

قالوا إنه قد حَكَّم، قال إن (الله) عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد الحرم فقال عز وجل (يحكم به ذوا عدل منكم) فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا إنه قد حَكَّم عليه فلم يرض. فقال إن الحكومة كالإمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أفاويلهما. فقال بعضهم لبعض: لا تجمعوا احتجاج قريش عليكم فإن هذا من القوم الذين قال الله فيهم (بل هم قوم خصمون) وقال (لتنذر به قوما لنا). فأنت ترى من هذا أن القوم حريصون على دعوتهم لا يحميدون عنها وأنهم يمارون في الحق بعد ما تبين لهم وأنهم تناهوا عن مناظرة (ابن عباس) حتى لا يفسد عليهم بحجته ما تطلعت إليه نفوسهم الجاحجة من الخروج والثورة

وقد سلك معهم (سيدنا على) كل وسائل الإقناع والمسالمة رغبة في جمع الكلمة، وحاجهم بنفسه محاجة عظيمة، فلم يرجع منهم إليه من بحر وراء سوى القليل، ومع ذلك أمسك عن مناواتهم وقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني (وسيفعلون) وظل خارجا عليه بحر وراء نحو أربعة آلاف، وكان الإمام عليهم (عبد الله بن الكواء) وقال لهم متى كانت حرب فرئيسكم فيها) شبت ابن ربعمى الرياحى) فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة (لعبد الله ابن وهب الراسبي) ومضوا معه إلى النهر وان^(١).

ثم قاتلهم (على) (بالنهر وان) قتالا شديدا بعد ما قتلوا (عبد الله^(٢) بن الحباب بن الأرت) وبقروا بطن امرأته وطلب منهم

(١) كورة واسعة بين بغداد وواسط واسم لمدينة صغيرة في الشمال الشرقي لبغداد واسم لنهر يشقها، ولذلك تسمى موقعة (النهر وان) أحيانا موقعة (النهر)

(٢) قتله الحرورية حين لقوه في طريقهم الى النهر وان وسألوه رأيه في الصحابة خالفهم وكانت قتله شنيعة والمصحف معلق بعنقه، وأمر أنه حبل (مقرب) أى قاربت الوضع

تسليم قاتله فقالوا كلنا قتله ، قيل إنه أفنى منهم في حرب النهروان ثلاثة آلاف ، وكانت جموعهم قد كثرت فبلغوا اثني عشر ألفا كلهم أهل صلاة وحدث في خلال الحرب أن قتل رجل من الخوارج ثلاثة من أصحاب علي وهو في خلال ذلك يقول

أقتلهم ولا أرى عليا ولوبدا أوجرته الخطيا^(١)

نحمل عليه سيدنا (علي) فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة الى الجنة ، وهذه العبارة تدل على مكان الاقتناع من نفوسهم ، ثم بعد وقعة النهروان أمر الخوارج أنفسهم وقالوا إن عليا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى نصابه ، وقال واحد منهم والله ما (عمرو) دونهما وإنه لأصل هذا الفساد وأجمعوا أمرهم على أن يكون قتل الثلاثة في ليلة واحدة وكان من نتائج المؤامرة أن قتل سيدنا (علي) بيد (عبد الرحمن ابن ملجم) سنة ٤٠ هـ فقال فيه أحد شعراء الخوارج الصفرية عمران ابن حطان

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إن لا ذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

شجاعة الخوارج

كان الخوارج مضرب الأمثال في الشجاعة والاقدام ، ولم تكن نساؤهم بأقل من رجالهم جرأة وشجاعة : روى أن امرأة من نساؤهم تسمى (الباجاء) كانت في أيام (عبيد الله بن زياد) جاءها مرداس^(٢) بن حدير ونصح لها

(١) أنفذت فيه الرمح

(٢) من رهوس الخوارج الصفرية

أن تأخذ بالحيلة والتقية^(١) لتأمن بطش الأمير فقالت (إن يأخذني فهو أشقى بي، أما أنا فما أحب أن يُعَنَّتَ^(٢) إنسان بسببي) ثم قطع (ابن زياد) يديها ورجليها ورمى بها في السوق فمر بها أبو بلال (مرداس بن حدير) وكان ورعا يرى رأى الخوارج ويتحصن بالتقية والحذر وأمسك بلحيته وقال لنفسه (هذه أطيب نفسا عن بقية الدنيا منك يامرداس)

ولوشئت واتسع لي المقام لحيثك بشيء كثير من أخبار حروبهم وشجاعتهم ولكن أكتفي بأن أقول: (أن تلك الحروب دلت على تقاني القوم في عقيدتهم وعلى أن البسالة والتضحية ليستا قصرا على الرجال منهم دون النساء) وأليك قليلا من أمثلة ذلك:

روى أن أحد الخوارج طعن بالرمح فجعل ينزلق عليه ساعيا إلى طاعنه وهو يقول (وعجلت إليك رب لترضى)

وأن (حوثره الأسدي) خرج فيمن خرجوا على «معاوية» فتوسل (معاوية) له بأبيه أن يكف عن الخروج فأتى إليه أبوه بولده لعله يحن فيعود فقال (يا أبت أتى إلى طعنة نافذة أنقلب فيها على كعب رمح أشوق مني إلى ولدي) فلما التقى الجمعان طلب منه أبوه أن يبارزه فقال يا أبت لك في غيري مندوحة ولي في غيرك عنك مذهب. فقتله رجل من طيء فرأى أثر السجود فدلّوَّح جبهته.

وجيء إلى زياد بن أبيه (بعروة بن أدية) وهو أول من سل سيفه من سيوف الخوارج وكان قد نجامن (واقعة النهروان) وجيء معه بهولى^(٣) له فسأله (زياد) عن أبي بكر وعمر فقال خيرا، وعن (عثمان) فأحسن

(١) الاحتياط والحذر والتستر

(٢) يلقي مشقة وأذى وعتا

(٣) خادم

القول فيه ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر فيما بعدها ، وعن (على) فأحسن الرأي فيه حتى حكّم ثم أكفره وعن (معاوية) فسببه سبا قبيحا ثم سألّه زياد عن نفسه فقال (أَوَّلَكَ لِرِزِيَّةَ^(١)) وأخرك لدِعْوَةِ^(٢) وأنت بعد عاص لرُبِك) فأمر به زياد فضرب عنقه ثم دعا مولاّه فقال صف لى أموره فقال أوّظنب أم أوّجز؟ فقال بل أوّجز فقال : ما أتيتّه بطعام بنهار قط ، ولا فرشت له فراشا بليل قط^(٣)

وبروى أن (عبيد الله بن زياد) تتبع الخوارج وحبس منهم أبا بلال (مرداس بن حدير) وكان فى أول أمره يأخذ بالتيقّة كما كان معظما فى الخوارج مجتهدا كثير الصواب فرق له السجان لما رآه من حسن لفظه وشده عبادته فكان يطلقه بالليل على أن يعود له آخره ومضى على ذلك زمنا ثم رأى (ابن زياد) أن يقتل من فى سجنه منهم فأخرج السجان (مرداسا) جريا على عادته ثم بلغ مرداسا ما صمم عليه الأمير فتأهب للعودة إلى السجن فقال له أهله : اتق الله فى نفسك فإنك إن رجعت قتلت . فقال إني ما كنت لألقى الله غادرا ثم شفع له السجان (وهو أخو زياد من الرضاع) فنجّا وكان له شأن ستعرفه فيما بعد

وأتى برجل من الخوارج إلى (عبد الملك بن مروان) فبحثه فوجده ماشاء فهما وعلمّا وأربا ودَهِيّا^(٤) فرغب فيه واستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتغفك الأولى عن الثانية وقد قات فسمعت فاسمع أقل قال له قل فجعل يبسط له قول

(١) زنى

(٢) ادعاء يشير إلى ادعاء معاوية له والحقه بنسبه

(٣) يعنى أنه قائم الليل صائم النهار

(٤) المسكر وجودة الرأي

الخوارج ويزين له من مذاهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم واني أولى بالجهاد منهم ثم رجعت إلى ما ثبت الله علي من الحجّة وقرر في قلبي من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطى الله في الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تحجيب بالقول والله لا تقتلنك إن لم تطعم فأنا في ذلك إذ دُخِل على بابي (مروان) باكيا لضرب المؤدب إياه^(١) فشق ذلك على عبد الملك فلقبيل عليه الخارجي فقال دعه يبكي فإنه أرحب لشدقه ، وأصح لداغعه وأذهب لصوته ، وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فاعجب عبد الملك بذلك وقال له أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ، فقال ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء فأمر عبد الملك بحبسده وصفح عن قتله وقال لولا أن تفسد بالفاظك أكثر رعيتي ما حبستك ثم قال من شككني ووهمني حتى مالت بى عصمة الله فغير بعيد أن يستهوى من بعدى

بعض مفارقات الخوارج

وكان للخوارج مفارقات عجيبة فهم يفرقون في المعاملة تفريقا مدهشا بين المسلم وغير المسلم فيستبيحون دم الأول ويحتفون بالثاني ، جاءهم مرة رجل مسلم فسأله رأيه في الصحابة من بعد عمر فلما لم يوافقهم سفكوا دمه ، وجاءهم في نفس الوقت نصراني فأكرموه وقالوا (احفظوا ذمة نبيكم) وروى أن « واصل عطاء^(٢) » أقبل في رفقة من أصحابه فلما أحسوا الحرورية ذعروا منهم لشدة ما قد فوأمّن الرعب في القلوب فقال (واصل) لأصحابه إن هذا ليس من شأنكم فدعوني وإياهم ثم سأله الخوارج ما^(٣) أنت وما

(١) قال من روى هذه القصة : فشق ذلك على عبد الملك ... إلى آخرها

(٢) رأس المعتزلة

(٣) ماحقيقة مذهبك ومذهب أصحابك ؟

أصحابك؟ قال : مشركون^(١) مستجبرون ليسمعوا كلام الله فقالوا (قد أجرناكم قال (فعلمونا) فجعلوا يعلمونهم أحكامهم وجعل يقول (قد قبلنا) قالوا (فامضوا مصاحبين فانكم إخواننا) قال (ليس ذلك لكم) قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا (ذلك لكم) ثم أرسلوا معهم من أبلغهم مأمنهم ، وليس لهذه المفارقات من سبب إلا إيمانهم في بغض جماعة المسلمين ورسوخ هذا المبدأ في نفوسهم

شعراء الخوارج وخطباؤهم

وكان للخوارج شعراؤهم وخطباؤهم وإنك إذ تقرأ كلامهم تحس فيه قوة العقيدة ، وصدق الشعور ، والبعد من الرياء والتكلف ، شأن كل كلام يُصدره قائله عن يقين بما يعنيه ، وإخلاص فيما يقول :

١- فمنهم (قطري ، بن الفجاءة) الذي يقول مشيداً بذكر يوم (دولاب) من أيام حروب الأزارقة المشهورة : —

لعمرك إني في الحياة لزاهد	وفي العيش ما لم ألق أم حكيم ^(٢)
من الخفرات البيض لم يُر مثلاً	شفاء لذى بث ولا لسقيم
ولو شهدتنا يوم دولاب أبصرت	فعال فتى في الحرب غير ذميم
غداة طغت علماء ^(٣) بكر بن وائل	ونحننا صبور الخيل نحو تميم
وظلت أسود الأزد ^(٤) في حومة الوغى	تعوّم وظلّنا في الجلال نعوم

(١) هم مسلمون ولكنها حيلة منه للإخلاص من شرهم

(٢) زوجه

(٣) على الماء

(٤) قوم المهلب

فلم أريوما كان أ كثر مقصا^(١) يبيع دما من قأظ^(٢) وكليم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيع من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الآله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعم
وهو الذي يقول مستحشا (لأبي خالد القناني) وكان من قعد الخوارج
يدعوه إلى اللحاق بهم: —

أبا خالد أقبل فلست بخالد^(٣) وما جعل الرحمن عذرا لقاعد
أترعم أن الخارجى على الهدى وأنت مقيم بين لص وجاحد؟!
أنظر كيف كان نظره إلى خصمه؟ فجعلهم ما بين لص وجاحد!!
وكيف جعل القعود عن متابعة الخوارج كالقعود عن الجهاد فى سبيل الله؟
ومن كلامه يشجع نفسه: —

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأهوال ويحك إن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك إن تطاعى
وما للمرء خير فى حياة إذا ما عد من سقط المتاع
٢ - ومنهم (أبو خالد القناني) المتقدم ذكره وهو الذى يقول رداً على دعوة
(قطرى) مبدىا عذره فى القعود: —

لقد زاد الحياة إلى حبا بناتى إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدى وأن يشربن رثا غير صاف
وأن يعرفن إن كسى الجوارى فتنبو العين عن كرم عجاف
٣ - ومنهم أبو بلال (مرداس بن حدير) الذى يقول: —
أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا

(١) مصرعا يضرب فيه المرء فيموت لساعته

(٢) ميت وجريح

(٣) فى السكامل (بأنقر) على أن (يا) للتنبيه ولا بأس بأن يوضع بعدها أقبل

أحب بقاء أو أرجى سلامة وقد قتلوا (زيد بن حصن) و(مالكا)؟
 فيارب سلم نيتي وبصيرتي وهب لي التقى حتى ألاقى أولئكا
 ويقول أيضا في السبب الذي حمّله على الخروج بعد أن كان من القعد^(١)
 الآخذين بالثقية : —

والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين
 للعديل مفارقين للفضل ، والله إن الصبر على هذا لعظيم ، وأن تجريد السيف
 وإخافة السبيل لعظيم ، ولكننا نتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل إلا
 من يقاتلنا

٤ - ومن شعرائهم أيضا (عمران بن حطان) الذي اختفى من وجه
 عبد الملك بن مروان حقبة طويلة من الزمن وكان كلما نزل يقوم انتسب
 اليهم نسبا يقربه منهم حتى إذا عرفوه رحل عنهم ، وهو الذي يقول في
 رثاء (مرداس أبي بلال) : —

يا عين بكى لمرداس ومصرعه يارب مرداس اجعلني كمرداس
 تركتني هائما أبكى لمرزئتي في منزل موحش من بعد إيناس
 أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
 ويقول مخاطبا روح بن زنباع (من خاصة عبد الملك) وقد نزل عنده

متخفيا ثم افتضح أمره فارتحل خفية وترك وراءه رقعة مكتوبا فيها : —
 يا رَوْحُ كم من أخى مشوى نزلت به قد ظن ظنك من لحم وغسّان
 حتى إذا خفته فارقت منزله من بعد ما قيل عمران بن حطان
 قد كنت جارك حولا ما تروغنى فيه روائع من أنس ومن جان
 حتى أردت بى العظمى فأدركنى ما يدرك الناس من خوف ابن مروان^(٢)

(١) هم القاعدون الذين لا يباحقون بالحيوش لعذر أو غير عذر

(٢) عبد الملك

فاعذر أخاك (ابن حطان) فإن له في النائبات خطوباً ذات ألوان
 يوما يمان^(١) إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت معدّياً فعدنانى^(٢)
 لو كنت مستغفراً يوماً لطاغية كنت المقدم فى سرى وإعلانى^(٣)
 وما زال يتنقل من قوم إلى قوم حتى انتهى إلى قوم من الأزد فكنت
 فيهم حتى مات

٥ - ومنهم (أبو حمزة يحيى بن عوف المختار الأزدي) وكان من نساء
 الاباضية وتنقل بين اليمن والحجاز والشام وقتل سنة ١٣٠ هـ وهو القائل
 من خطبة له بمكة . -

(يا أهل مكة تعيرونني بأصحابي ! تزعمون أنهم شباب^(٤)) وهل كان
 أصحاب رسول الله إلا شباباً ؟ شبابٌ والله مُكْتَبُونَ فى شبابهم ، غَضِيضَةٌ^(٥) عن
 الشر أعينهم ، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أرجلهم ، أنضاء^(٦) عبادة ، وأطلاح^(٧)
 سهر فنظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية أصلاً بهم على أجزاء القرآن ،
 كلما مر أحدهم بأية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مر بأية من ذكر النار
 شقق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه) إلى أن قال (وأكلت الأرض
 ركبهم وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك فى جنب الله ، حتى إذا رأوا
 السهام قد فوقت^(٨) ، والرماح قد أشرعت^(٩) ، والسيوف قد انتضيت^(١٠)
 ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد

(١) منسوب إلى اليمن (٢) لأن عدنان أبو معد

(٣) لا يرضى أن يستغفر له حتى بعد ما آواه حولا !!

(٤) شباب الأولى والثانية والثالثة جمع شاب والرابعة مصدر شب

(٥) مخفوضة والمراد مصروفة عن الآثام (٦) جمع نضوب كسر أوله وهو الهزيل المتعب

(٧) جمع طلع وهو مثل نضو (٨) ركبت فى القسى ليرمى بها

(٩) صوبت (١٠) استلقت

الله ومضى الشباب منهم قُدمًا حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ،
وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فاسرعت اليه سباع الأرض وانحطت
إليه طير السماء فكم من عين في منقار طير بكى صاحبها في جوف الليل من
خشية الله

أسماء الخوارج

وللخوارج أسماء عدة منها (المحكمة الأولى) وهم أول طائفة خرجت
على سيدنا علي وقالوا (لاحكم إلا الله) ومنها (الثرأة) لقولهم نحن شرينا (١)
أنفسنا لدين الله ، أو شرينا الآخرة بالدنيا ، ومنها (الناصبة) لأنهم نصبوا
العداء لسيدنا علي وأقاموا عليه (والحروية) باسم أول فرقة خرجت إلى
(حروراء)

فرق الخوارج

هذا والخوارج بعد المحكمة الأولى فرق شتى منها :

١ - (الأزارقة) أتباع (أبي راشد نافع بن الأزرق) الملقب بأمرير
المؤمنين كان من أعلم الناس بفقهاء الخوارج ، وفرقتهم من أجلد فرق الخوارج
وأصلبها عودا ، وأكثرها عددا ، وأطولها مدة ، وأكثرها أيام حرب
وأشهرها مواقع ، وأشدّها تطرفا ، وهم بعد (المحكمة الأولى) كقطب
الرحى للخوارج كان خروجهم جهة الأهواز من فارس ثم انضم إليهم
خوارج عمان واليمن وبلغ عددهم أكثر من عشرين ألفا وكان (نافع) يرى
أن كل من خالفوه مشركون ويستحل قتلهم وقتل نسائهم محتجا بقوله
تعالى (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن

(١) بعناها ووهبناها لله

تذرههم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً) وهذا منه غلو عجيب
وتحميل للآية الكريمة مالا تطيق ، فالآية قبل كل شيء في سياق الكفار
من قوم نوح ، ووصف الكفر أبعد ما يكون من جماعة المسلمين ، ثم لم
يقف هو وفرقته عند ذلك بل قال الدار دار كفر (يريد دار الخالفين) إلا
من أظهر إيمانه ، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ، ومن
جاء منهم فعلينا أن نمتحنه ، وهم ككفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو
أو السيف وكان هو وأصحابه يقيمون الحد على من يقذف المحصنات لا
على من يقذف المحصن ، وكانوا يقطعون يد السارق في القليل والكثير
وتولى حربهم كثير من قواد العرب وكان أشدهم على الأزارقة (المهلب
ابن أبي صفرة) شتت جموعهم وطهر الأرض من شرورهم ، بعد حروب
دامت نحو عشرين سنة وقد قتل نافع بن الأزرق في إحدى وقائعها فتولى
بعده (قطري بن الفجاءة) ثم قتل في واقعة بينه وبين سفيان بن الأبرد
بشعب من شعاب طبرستان سنة ٧٧ هـ ، وانتهت بقتله حروب الأزارقة
واستراح الناس من شر مستطير . وقيل إن أول قاتل بالكفار القعد
وامتحان المسلم عبد ربه الكبير ، وقيل عبد ربه الصغير ، وقيل عبد الله
ابن الوضين

هذا والمهلب تولى حروب الأزارقة أولاً من قبل (عبد الله بن الزبير)
ثم لما استتب الأمر لعبد الملك بعد قتل ابن (الزبير) أسند أمر الخوارج إلى
الحجاج فأقر المهلب على حرب الأزارقة فكان صاعقة عليهم وصارت له
المنزلة العليا عند بني أمية

قدم على الحجاج فأجلسه بجانبه وبالع في الحفاوة به ثم قال له : أنت
والله كما قال (لقيط الأيادي) : —

وقلدوا أمركم الله دركم رَحَب الذراعِ بأمر الحرب مضطلعا
 لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
 لا مترفاً إن رَخاء العيش ساعده ولا إذا عضَّ مكروه به خشعا
 لا زال يحلبُ هذا الدهر أشطره يكون متبعا طوراً ومتبعا
 حتى استمرت على شزر^(١) مريته^(٢) مستحکم الرأي لا قحما^(٣) ولا جزعا
 ومما يجمُل ذكره هنا قول (عرهم) الشاعر ينصح (خالد بن عبد الله
 ابن خالد بن أسيد) والى البصرة بألا يرسل الى الأزارقة أخاه
 (عبد العزيز) وأن يرسل اليهم (المهلب). فمن حديثه: (إن الأزارقة
 ذو بان العرب وسباعها، وليس صاحبهم إلا المباكر المناكر المحرَّب^(٤) الجرب
 الذى أرضعته الحروب بلبانها وذلك هو أخو الأزد (المهلب بن أبى صفرة)
 فلما لم يطاوعه وهزمت الأزارقة أخاه وسبوا زوجه وعرضوها للبيع قال
 يعرض بهذه الحالة: —

لعمري لقد ناجيت بالنصح خالدا وناديت به حتى أبى وعصانيا
 وقلت الحروريون من قد عرفتهم حماة كُماة يضربون الهوادي^(٥)
 فلا تُرسلن (عبد العزيز) وسرَّحن^(٦) إليهم فتى الأزد الألد المساميا
 فتى لا يلاقى الموت إلا بوجهه جريئاً على الأعداء للحرب صاليا

ب — و (الشبيبية) أتباع (شبيب بن يزيد الشيباني) المكنى (بأبى
 الصحارى) وصاحب الحروب العظيمة مع (الحجاج) ذكر المؤرخون

(١) الشزر قتل الجبل من جهة اليسار (٢) المريرة الجبل . والمراد خلقه وشكيمته

(٣) القحمة المسن

(٤) المغضب ، أو المحدد تشبهاً له بالسنان الحرب لمضائه وحدته وهو أشد لقتله

(٥) جمع هاد وهو العنق

(٦) أرسل

أنه قدم الشام مسالماً وسأل (روح بن زنباع) من خاصة عبد الملك أن يسمى في أن يكون له مكانة في الدولة فأنكره (عبد الملك) وقال أخشى أن يكون حرورياً، فقال ستعرفني بعد هذا، ثم جمع جموعه من الخوارج (الصالحية) بعد قتل زعيمهم^(١) (صالح بن مسرّح) وزاوأ بهم عبد الملك مدة طويلة وهزم له جيوشاً كثيرة، وانتصر على (عبد الرحمن بن الأشعث) وقتل من قواد عبد الملك (عتاب بن ورقاء). وكان خروجه سنة ٧٦ هـ وقد هاجم الكوفة وفي جيشه مائتان من النساء قد اعتقلن الرماح، وتقلدن السيوف، ونصب أمه (غزالة) على المنبر فخطبت، فنسب إليه القول بأمامة النساء على المسلمين فصبر لهم الحجاج أولاً في داره، ثم جمع جنوده وقاتلهم فشقت جمعهم، فأنحازوا إلى (الأنبار) فلحقهم جيوش الحجاج، فهزمتهم إلى (الاهواز) ثم أرسل لقتلهم (سفين بن الأبرد) فلما كان على شط (دجيل) بالاهواز ركب (شبيب) الجسر ليعبر فغرق وهو يقول (ذلك تقدير العزيز العليم) فأرسل الحجاج رأسه إلى عبد الملك وبعد قتل (شبيب) تولت أمه (غزالة) أمر القوم وقد قتلت كما قتلت زوجها في هذه الحروب ولما وقف أسارى جيشه بين يدي الحجاج همّ بقتل أحدهم فقال (أهاني حتى أقول كلمة) وأنشد

أبرا إلى الله من عمرو وشيعته ومن على ومن أصحاب صفين

ومن معاوية الطاغى وشيعته لا بارك الله في القوم الملاعين

ح (والنجيدات) أتباع (نجدة بن عويمر^(٢) الحنفي) ومن آرائهم أن من كذب كذبة صغيرة أو نظر نظرة صغيرة وأصر عليهما فهو مشرك - ومن شرب الخمر أو زنى أو سرق غير مصر على ذلك فهو مسلم إذا كان يدين.

(١) أنباع صالح بن مسرّح من بني امرئ القيس قيل هو أول من خرج من الصفرية وكان ناسكاً مصفراً الوجه لكثرة عبادته يقيم أرض الموصل (٢) وقيل (ابن عامر).

بدين (نجدة) (أى برأيه فى الخروج) وكان خروجه باليامة (من أرض نجد) زمن عبد الملك يبعث بخروجه مساعدة الازارقة فلما علم أنهم يكفرون القعد انصرف عنهم وكفرهم بما قالوا - ثم حاول دخول (المدينة المنورة) زمن عبد الله بن الزبير ولكنه عدل عند ذلك لما رأى استعداد أهلها لقتاله وأسر جارية من ذرية عثمان بن عفان فطلبها عبد الملك منه فاشتراها ممن هى معه وردها فنقم منه أصحابه ذلك التسهل وانتقضوا عليه وقالوا رددت جارية لنا على عدونا فذهب فريق منهم لمساعدة (الازارقة) وهم (المطوية) أتباع عطية بن الاسود الحنفى وذهب فريق آخر إلى مناواة (نجدة) نفسه حتى قتلوه وفريق النجدات بالنظر إلى أصل مؤسسه فريق متسهل جدا إذا قيس بالازارقة ولا يفوقه إلا الاباضية

د - (والمجاردة) : أتباع عبد الكريم بن عجرد وهو من أتباع عطية ابن الاسود الحنفى المتشقق على نجدة بن عويمر ويخالف المجاردة نافع بن الازرق فلا يرون استحلال أموال مخالفيهم إلا بعد قتلهم أما فى غير الحرب فلا يستحلونها . ويقولون بأن الطفل برىء حتى يبلغ الحلم ، فإذا بلغ وجبت دعوته إلى الاسلام أو يصفه هو من تلقاء نفسه وقد انقسم المجاردة إلى فرق منها (المعلومية والمجهولية) (والحمزية) (والشعالبية) وإليك كلمة موجزة عن هذه الطوائف :

فالمعلومية : — يقولون ان من لم يعرف الله بجميع أسمائه جاهل به ، والجاهل به كافر .

والمجهولية : — قالوا من عرفه ببعض أسمائه فقد عرفه وكفروا بالمعلومية لما ذهبوا اليه

والحمزية : — هم أتباع « حمزة بن أدرك » الذى عاث فى الارض فسادا

جهة « سجستان » و « خراسان » وما والاها وكان في نهاية القسوة اذا ظفر يقوم يحرق أموالهم ويقتل نساءهم ، خرج زمن الرشيد سنة ١٧٩ هـ وظل صدرا من خلافة المأمون ثم حاربه « طاهر بن الحسين » ففرق جموعه بعد أن فنى من الفريقين قرابة ثلاثين ألفا جلهم من رجال حمزة ، ولشدة ما عرف به من القسوة لم يرحم « طاهر » من وقع في يده من جنوده ولا من ظفر به ممن يقول برأيه من القعد غير المحاربين ، فقد جاء بثلاثمائة من هؤلاء وربط كل واحد منهم بين شجرتين قد ضم رأس كل منهما إلى رأس الأخرى ثم أمر بقطع الروابط بين كل شجرتين فذهبت كل واحدة بشطر من الرجل المعلق فيها . وهذا بلا شك قسوة وبطش كبير ولكن الامعان في الافساد وفتنة المسلمين أكبر منه عند الله على أن طاهرا لم يستأصل شأفة (حمزة) فقد فرثم قتله من بعده عبد الرحمن النيسابوري وبدد البقية الباقية من رجاله وجرح « حمزة » ففروا مات في هروبه واستراح الناس من شره وصار لأهل نيسابور فضل بهذه الموقعة

وأما الثعلبية : — فهم أتباع ثعلبة بن مشكان كان أولا مع العجاردة ثم خالفهم ثم انقسمت فرقته ستة أقسام يخالف بعضها بعضها منها « الاخنسية » الذين حرموا القتل والاغتياي سرا و (الشيبانية) الذين ساعدوا أبا مسلم الخراساني ، في حرب « الثعلبية » المخالفين لهم وأعانوه على حرب بني أمية فكفروهم الخوارج لمواالاتهم (أبا مسلم)

ومن الخوارج (الميمونية) أتباع (ميمون بن عمران) من (العجاردة) وله أقوال تلاحقه (باليزيدية) ، فقد نسب إليه إنكار أن سورة (يوسف) من القرآن ومعلوم أن منكر بعض القرآن كمنكر كله في الكفر والمروق من الدين

وكان يقول في أفعال العباد قول المعتزلة ويكفر أصحاب الذنوب كما يقول جمهور الخوارج

ويقول بشئ علمه تلقاه عند المجوسية^(١) وهو إباحة نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الاخوة وأولاد الأخوات

هـ — ومن الخوارج «الصفورية» أتباع زياد بن الأصفر ولهم مع عبيد الله بن زياد حروب شعواء، وهم على العموم في الاعتقاد كالازارقة غير أنهم لا يستحلون قتل النساء والأطفال وكانوا يوالون عبد الله بن وهب الراسبي، وجرقوص بن زهير، من رءوس المحكمة الأولى — ويقولون بولاية (أبي هلال مرداس بن حدير) بعدهما ثم بامامة (عمران بن حطان) بعد ما قتل مرداس^(٢) وينسب إليهم:

طائفة (البيهسية) أتباع «أبي البهيس» الذي يقول أن صاحب الكبيرة لا يحكم عليه بالكفر حتى يحده الحاكم وكان في زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب وطائفة أخرى ترى أن وصف الكفر لا يقع إلا على مرتكب ذنب ليس فيه حد معين وأن من حد في بعض الذنوب خارج عن الإيمان وغير داخل في الكفر فهي كما ترى أميل إلى التسامح من غيرها

و — ومن الخوارج طائفة (الاباضية) أتباع عبد الله بن أباض خرجوا زمن (مروان^(٣) بن محمد) ومن مذهبهم أن مخالفهم كفار نعمة فقط تجوز مناعتهم وموارثتهم — واستحلوا من أموالهم الخيل والسلاح

(١) هم الثنوية من الفرس يقولون باصلين يدبران العالم النور والظلمة ويسمون النور إله الخير والظلمة إله الشر وهم فرق منها الزرداشية والمناوية والمزدكية

(٢) هو (أبو بلال مرداس بن حدير) هذا وينسب إلى الصفورية صالح بن مسرح صاحب شبيب بن يزيد الشيباني

(٣) ووقع بينهم وبينه قتال في (تباله) بلدة باليمن استهان بها الحجاج حين ولى عليها ففيل في المثل (أهون من تباله على الحجاج)

وكانوا يردون لهم الذهب والفضة ، إذا غنموها ومن الأباضية طائفة تجمع على إخراجها من الاسلام تلك هي طائفة (اليزيدية) أتباع يزيد بن أبي أنيسة القائل بنسخ الشريعة الاسلامية بنى بيعت من الفرس . وهو في هذا صنعة المجوس كما لا يخفى ، وإلا فلماذا خص نبيه المزعوم بالفرس دون غيرهم ؟! ومن عجب أنه مع كفره هذا كان يتولى من نطق بالشهادتين مبالغة منه في في المكر والخديعة ومن فرق الأباضيين (أصحاب طاعة لا يراد بها طاعة) يزعمون أنه يصح أن تصدر من العبد أعمال صالحة لا يريد بها وجه الله ، ولا ينوى بها طاعة ، وهذا كقول « أني الهذيل العلاف » من غلاة المعتزلة . وإذا صح أن يصدق على « النظر الأول »^(١) الذي ينظره المرء ليتوصل به إلى معرفة الله « وهو أول واجب على المكلف » فلن يصح في أعمال يقوم بها مشرك^(٢) لا يبغي بها طاعة ولا قربة من الله فان مدار الأعمال على النيات والمشرک بلا شك لا ينوى بعمله طاعة الله وإذا فلا طاعة له ، والنية للأعمال كالروح للأجساد

هذا وللخوارج فرق أخرى معظمها مشتق من الفرق المتقدمة وأرى أن أجتزئ^(٣) عنها بما تقدم عملاً بالاختصار الذي أخذت نفسي به أول هذا البحث

نظرة اجمالية في الخوارج

كانت الخوارج فئة واحدة حتى عام ٦٤ هـ ثم انقسموا بعده إلى طوائفهم المذكورة بعد ويرجع الخلاف بينهم إلى تشدد (نافع بن الأزرق) في الحكم على مخالف الخوارج كما يتضح لك مما يأتي : —

(١) نظر الانسان إلى نفسه وغيرها من خلق الله للاستدلال على وجود الله

(٢) وكذا سائر الكفار (٣) اكتفى

(١) فالأزاقة (وهم غلاة الخوارج) يرون ما رآه نافع بن الأزرق من تكفير أعدائهم ووصفهم بالاشراك وكذا القاعدون عن اللحاق بهم ممن يقولون برأيهم ويتخذون التقية وكانوا يتبرءون منهم ومن أولادهم ، ويستحلون ما لهم ويقتلون أولادهم

(٢) والأباضية : يرون أن مخالفهم كفر نعمة فقط تجوز منا كحتهم والتوارث معهم وتجاوز شهادتهم

(٣) والصفورية : كالأزاقة إجمالا غير أنهم لا يرون قتل الأطفال والنساء ولا يرون حرجا على (القعد) فكانت جهمرتهم قعدا .

(٤) النجدات : وكانوا يكفرون من يكفر القعد ومن يقول بامامة نافع ابن الأزرق

ومن الخوارج طوائف أخرى كالعجاردة وفروعها ، وقد سبق الكلام عليهم ، وقد انقرض الخوارج إلا طائفة من الاباضية تقيم جهة (عمان) وفي جزيرة جربة تجاه (تونس) وفي جنوبي الجزائر

هذا - ويجمع الخوارج على وجوب الخروج على الإمام الجائر حتى إنهم ساعدوا عبد الله بن الزبير وليس منهم لما رأوه خارجا على يزيد بن معاوية لا اعتقادهم الجور في يزيد ، وظلوا معه حتى مات يزيد وانجلي جيشه عن المدينة ثم بعد ذلك سألوا ابن الزبير ليتحققوا رأيه في نحلته^(١) فلما وجدوه مخالفا لهم تركوه وذهبت جهمرتهم إلى البصرة وطائفة منهم إلى (الهامة) بنجد .

كما يجمعون أيضا على إكفار الحكمين ومن رضى بحكمها حتى إنهم أفرروا على أنفسهم بالكفر إذ أقام عليهم ابن عباس الحجة ثم قالوا انا تائبون ، وهم

(١) وكان قد أوهمهم أنه معهم يستعين بهم على يزيد

يرون إكفار على ومعاوية وعثمان وأصحاب الجمل ، أما التكفير بارتكاب المعاصي فلم يجمعوا عليه فمنهم من قالوا إنما يكفر من ارتكب معصية ليس لها عقوبة محدودة في القرآن فأما ما لها حد مخصوص كالزنا والقتل فلا يكفر فاعلموا بل يوصف بما ارتكبه كالسرقة والزنا والقتل وقال أصحاب عبد الله ابن إباح إن صاحب الكبيرة كافر نعمة لا كافر دين وهم جميعا يبرءون من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة

١- أما يرون إكفار على ومعاوية وعثمان وأصحاب الجمل ، أما التكفير بارتكاب المعاصي فلم يجمعوا عليه فمنهم من قالوا إنما يكفر من ارتكب معصية ليس لها عقوبة محدودة في القرآن فأما ما لها حد مخصوص كالزنا والقتل فلا يكفر فاعلموا بل يوصف بما ارتكبه كالسرقة والزنا والقتل وقال أصحاب عبد الله ابن إباح إن صاحب الكبيرة كافر نعمة لا كافر دين وهم جميعا يبرءون من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة

بسبب خروجهم ، والباعث لهم على فتنهم لكثرة ما فيهم من المتناقضات وقد اختلفت أحكام المؤرخين في أمر هذه الطائفة من المسلمين التي أوقدت نار الحرب حقبة من الدهر انسحبت على عهد علي ومعاوية وبنى أمية وصدر الدولة العباسية فأنالا نستطيع أن نرميهم بالكيد للإسلام والعمل على إضعاف المسلمين ، فهم عرب خلص لا يقال فيهم ما قيل في بعض الشيعة الغلاة من الترويج لديانتهم القديمة والسعى لاعادة دولهم التي أزالها الإسلام ، نعم ان طائفة (اليزيدية) التي تنتمي إلى (الاباضية) من الخوارج قالت إنه ستنسخ شريعة الإسلام بنبي يبعث من الفرس آخر الزمان وطائفة (الميمونية) أنكرت سورة يوسف وأحلت ما حرم الله ، ولكن هذه شذمة قليلون بالنسبة لجماعة الخوارج التي ملأت العراق وفارس وخراسان واليمامة وبلغت جيوشها الألوف المؤلفة ولم يكن منهم إلا متنطع في دينه ، مشدد في عبادته مغال في حدود الله ، ان قوما يكفرون العصاة لبعيد أن يوصفوا بالكيد للإسلام

ولعل قائل يقول ان القوم مدفوعون إلى خصومة على كرم الله وجهه بدسيسة من أعدائه وهنا موضع الحيرة والتردد، فانهم كانوا يذمون عليا ومعاوية

وكل من لاذ بهما ، بل كانت عباراتهم عن معاوية أشد وأنكى ، ثم إنهم بعد ما أمروا أنفسهم على قتل علي ومعاوية وعمره وأقرب ظاهر الأرض من أبي الحسن ظلموا يناصرون معاوية العداء وظل معاوية ومن خلفه يجردون عليهم الحيوش إثر الجيوش حتى شتوا جموعهم وقضوا على جرثومتهم

نعم ان فكرة التحكيم كانت سببا لصدع عصا الفريق العلوي وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم ولكن العقل لا يطمئن إلى أن يكون القوم مسوقين إلى الفتنة باغراء معاوية ، ودهاء (ابن العاص) لا سيما بعد ما كانوا هدفا لسباههم في المؤامرة التي طاحت بسيدنا علي وفدت عمرا بخارجة ولم تقض على معاوية

٢- ولا يمكن أن يكون قبول (علي) التحكيم هو السبب في فتنهم فقد قرأت محاجة (ابن العباس) لهم وفرارهم من الحق بعد ما تبين لهم ويحمل بي أن أعرض عليك مناظرة أخرى دارت بينهم ، وبين علي ليستبين لك وجه الصواب فيما أقول :-

لما اجتمعوا بمروراء وناظرهم (ابن عباس) فلم يرجعوا ذهب إليهم سيدنا علي فناظرهم وكان علي رأسهم (ابن الكواء) فكان مما قاله لهم : — « أتعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم إنها مكيدة ووَهْن وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني ثم سألتوني التحكيم أفعلتم أنه كان منكم أكره لذلك مني ؟ قالوا اللهم نعم . قال فهل علمتم أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم إليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكمنا بحكم الله عز وجل فإن خالفاه فأنا وأنتم منه برآء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني ؟ قالوا اللهم نعم . ثم قلوا حكمتم في دين الله برأينا ونحن مقرون بأننا قد كفرنا ونحن تائبون فأقرر بما أقررنا وتب نهض معك إلى

الشام^(١) قال أما تعلمون أن الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأة فقال (فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) وفي صيد أصيب في الحرم كأرنب يسارى ربع دينار فقال عز وجل (يحكم به ذوا عدل منكم) فقالوا إن (عمرأ) لما أبى عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبد الله (على) أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت (على ابن أبي طالب) فقال لهم رضى الله عنه لى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حيث أبى عليه (سهيل بن عمرو) أن يكتب (هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو) فقال لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكني أقدمك لفضلك ثم قال : اكتب (محمد بن عبد الله) فقال يا على امح (رسول الله) فقلت يارسول الله لانسخونفسى بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام (قفى^(٢) عليه) فحاه بيده ثم قال (اكتب محمد بن عبد الله) ثم تبسم لى عليه السلام . وقال (يا على أما إنك ستسأم مثلها فتعطى^(٣))

ومع كل هذه الحجج الدامغة لم يرجع معه إلا القليل .
فلو كان قبول التحكيم هو السبب في الخروج لما كان لهم بعد هذه المناظرة معدى عن الرجوع

ولا نعتقد مطمئنين أن القوم مدفوعون بعواطف الشهوات والغايات فانهم أهل عبادة ونسك وإن قول قطرى بن الفجاءة في أم حكيم :-
لعمرك إني في الحياة لزاهد وفي العيش مالم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلاً شفاء لذى بث ولا لسقيم

(١) أى لقتال معاوية (٢) ضع يدي عليه لأنه عليه السلام كان آمياً
(٣) سيطلب منك مثل ما طلب منى فتقبله - وهذا من باب إخباره بالغيب الذى حققه الواقع

ليس فيه شيء يחדش من عفاف قطري فان أم حكيم زوج لقطري
ومن حقها عليه أن يخبرها ببلائه في حرب كحرب دولاب وأن ينوه باسمها
في شأن المعارك الشداد. أليست هي التي كانت تحمل على الفرسان وتقول :-

أحمل رأسا قد سئمت حملة وقد مللت دهنه وغسله

الآفتى يحمل^(١) غني ثقله؟

وقد يكون خروج امرأة في زى الرجال لتشار (لنافع بن الأزرق)

ومبارزتها الفرسان دليلا على بسالة الخوارج (نسائهم ورجالهم) لا على

صلة سيئة بينها وبين نافع، ولا غرو فقد كان في جيش (شبيب) مائتان

من النساء تقلدن السيوف وأبدن في الحرب شجاعة الرجال، وقادت

غزاة جيش ولدها شبيب بعد مصرعه وأبدت من الشجاعة ما حير الرجال

ففكرة أن القوم مدفوعون الى ثورتهم بعامل الشهوة فكرة بعيدة

الاحتمال. ولا يستطيع المنصف أن يقول أنهم خرجوا طمعا في الملك والامارة

لأن بعضهم لقب بأمر المؤمنين؛ فان هذا اللقب لم يثبت أن من لقب به

انتحل نفسه قهرا وما عليه من بأس إذا اعتقد أشياء أنه أجدر

بالامامة فنادوه بها

فالسبب في فتنه الخوارج وراء كل هذه المسائل هو الذي أدركه

(أبو الحسن) بزمانه والمعية حين قالوا (لا حكم إلا لله) : فقال من فوره

كلمة حق يراد بها باطل، هم يريدون لا إمارة ولا بد من إمارة برة أو فاجرة

فالقوم بلارب أهل فوضى واضطراب، وهم ناثرون على نظام الحكم

والقائمين به إذ ذاك، وهم رأوا دماء المسلمين تراق وبأسهم واقعا بينهم

فخرجوا وثاروا، وكل أمانيتهم تخليص الاسلام من نظام رأوه شرابلا رأوا

(١) يريد بها من حملة أى يقطعها

أن الرضى به كفر فثورتهم سياسية قبل أن تكون دينية بل إنها سياسية بحتة اندفعوا فيه مخلصين لها لا يعينهم أن يقال أخطئوا أم أصابوا ، شأن كل من يركب رأسه ويعرض عن ذكر العواقب جانباً ثم جرهم العناد إلى الدين فخاربوا به مخالفهم فكفروا العصاة وقتلوا النساء والأطفال ، حتى قال لهم عمر بن عبد العزيز (إنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها) ولما أخذتهم سيوف الامام على في النهر وان ، وسيوف المهلب وغيره فيما بعد لجوا في عنادهم ، واندفعوا في غمار الحرب ، لأنها محبة اليهم بحكم جبلتهم العربية وبعامل الثأر لقتلهم ممن يعتقدون فيهم الجور والطغيان ويزعم الخوارج انهم كفار مشركون ، تلك هي الحقيقة التي يستنبطها المنصفون من تاريخ الخوارج ومن القصة الآتية يتضح لك جانب مما ذهبنا اليه من أن حبهم للأخذ بالثأر من أسباب طول مدتهم

بطشت جنود « ابن زياد » وأميرهم (عباد بن أخضر) بأبي بلال ابن مرداس) وجماعته وهم قيام لصلاة الجمعة بعد ما تهادنوا للصلاة فأتت عليهم جميعاً وصلبوا على جذوع النخل وظل عباد بن أخضر مسروراً بما أوتيته من ظفر

وحسب أنه صار بما من من مقابلة الغدر بمثله ولكن القوم كانوا يتربصون به الدوائر ليشفوا صدورهم بأخذ الثأر فرصدوه في يوم جمعة وقد أقبل راكباً وأردف وراءه ابنه فقام إليه رجل من الخوارج وقال أسألك عن مسألة قال ما هي قال الخارجي : أرأت رجلاً يقتل رجلاً بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان الولي المقتول أن يفنك به إن قدر عليه ؟ قال (عباد) بل يرفعه إلى السلطان ، قال الخارجي ان السلطان لا يُعدي عليه لمكانته منه وعظيم جاهه عنده قال (عباد) أخاف عليه إن قتله

فتك به السلطان قال الخارجى دع ماتخافه من ناحية السلطان ، أتأخقه تبعه فيما بينه وبين الله ؟ قال (عباد) لا قال الخارجى قد حكم ؛ ثم قام هو وأصحابه فحبطوه بأسيافهم ورمى (عباد) ابنه من ورائه فنجوا وتنادى الناس (قتل عباد) فجاء أخوه معبد بن أخضر فى جماعة من قومه فصاحوا بالناس دء ناوئارنا ومالوا على الخوارج بالسيوف فلم يفلت منهم إلا (عبيدة ابن هلال) وفى ذلك يقول الفرزدق :-

لقد أدرك الأوتار ^(١) غير ذميمة إذ ذم طلاب الترات الأخضر
ثم جردوا الاسياف فى يوم أخضر فنالوا التى ما فوقها نال نائر
أقادوا ^(٢) به أسدا لها فى اقتحامها إذا برزت نحو الحروب بصائر
ومهما يكن من أمرهم فقد أضعفوا جيوش الدولة الاسلامية وشغلوها
عن الفتح والاصلاح زمنا طويلا حتى كان معظمهم بنى أمية حرب الخوارج
فجنايتهم على الاسلام من هذه الناحية كبيرة جدا وكم أراقوا من دماء ، وكم
قتلوا من أطفال وكم استباحوا من أموال لم تأخذهم الشفقة على امرأة لضعفها
ولا شيخ لشيخوخته ، ولا طفل لبرأته الأُسْحَق القساة القلوب.

٦ - الجبرية

تبين من مذاهب المعتزلة أنهم كانوا يغالون فى إثبات الكسب للانسان
أما المجبرة فعلى العكس منهم يغالون فى نفي الاستطاعة عن العبد يجعلونه كالريشة
فى مهاب الريح أو كأغصان الشجرة (ومذهب أهل السنة وسط بين المذهبين
كما علمت) وعلى مذهب المجبرة لا يكون للانسان كسب ولا ارادة
ولا اختيار ، ولا تصرف فيما وهبه الله من نعمة العقل والتصرف على
حسبه فكيف يكون له مطمع فى ثواب أو خوف من عقاب ؟ وما قيمة
^(٢) الوتر والترة النار ^(٢) أخذوا فى قتلهم رجالا كالأسود بصيرين بالحروب

الرسالات والديانات وما جدوى الوعد والوعيد ؟ ولماذا أعدت النار للمتقين والنار للعاصين ؟ وكيف يتصور الانسان ذلك في نفسه وهو يشعر أن له وجودا وأن له إرادة واختيارا ؟ لقد ضل كثير من الناس بمذهب الجبر فخارت منهم الهمم وانتقضت منهم العزائم ، وقعدوا وتواكلوا وأغرق بعضهم في الفجور والدعارة مستترا بهذا الستار . فاذا سئل عما يفعل قال انه (مسير) الى غير ذلك من الأعذار التي لا يقيم لها الشرع والعقل وزنا ، فما وهب الانسان عقله جزافا ولكنه الضلال عن معنى (القدر) اتخذته الناس سدا حصينا دون العمل والحيلة

ومن الجبرية طائفة (الجهمية) أتباع جهم بن صفوان الترمذى الفارسى الذى قتل فى سنة ١٣١ أواخر الدولة الأموية ، كان ينفي الصفات الالهية كلها وينفى رؤية الله ويزعم أن الجنة والنار تقنيان وتنقطع حركات أهلها محتجا بأن عدم فناءهما يتعارض مع معنى قوله تعالى (وأحصى كل شىء عددا) وهذا مردود عليه بما يأتى : —

قال الفخر الرازى إن الله يعلم الشىء على ما هو عليه وكما هو فى نفسه فلما لم يكن لأجزاء غير المتناهى أجزاء متناهية . امتنع أن يعلم الله كونها متناهية ، يريد أن العلم بها على أنها غير متناهية هو العلم اللائق بالله تعالى ووافقه (ابن حزم) فى ذلك وزاد عليه أن من علم الشىء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطئ فى اعتقاده ظان للباطل ، وعلم الله تعالى هو اليقين الحق

ويقول جهم بخلق القرآن وبالجبر وأن الانسان لا يقدر على شىء ولا يوصف بالقدرة . وكان من دعاواه (إن من عرف الله ولم ينطق بكلمة التوحيد

لا يكفر) لأن العلم لا يزول بالصمت ولا بالجحود، وهذا مردود بأن
 الايمان هو التصديق بالقلب بشرط ^(١) الاقرار باللسان وبقوله عليه الصلاة
 والسلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)

٧ - القدريّة ^(٢)

هم المغالون في إثبات القدرة للانسان وأنه لا يحتاج إلى معونة إلهية
 في أعماله، وهذا مذهب قريب من مذهب المعتزلة كما لا يخفى، وزعيم
 هذا المذهب (النظام) من شيوخ المعتزلة وأول من قال بالقدر بهذا المعنى
 (معبد الجهني) وكان يجالس الحسن البصري وتبعه أهل البصرة فعذبه
 الحجاج وصلبه سنة ٨٠ هـ بأمر عبد الملك بن مروان

٨ - المشبهة

هم الذين غلوا في إثبات صفات الله (على عكس المعتزلة) حتى وصلوا بها
 إلى حد التجسيم في ذات الله تعالى فمنهم من قال إنه كنور السبيكة الصافية
 يتلأأ من جوانبه

(١) أو الاقرار شطر منه (كما سبق)

(٢) هم منكرو قدر الله تعالى والقدرة علم الله بالأشياء ومقاديرها وأزمانها قبل وقوعها
 وإيجادها على ما سبق في علمه، والقدريّة: منهم من ينكر سبق علم الله بالأشياء قبل
 وقوعها ويقولون (الأمر أنف) بمعنى أن الله يأتمن الأشياء علماً حين وقوعها
 (يبتدئ علمها) ومنهم من يقول انه تعالى عالم بالأفعال أزلاً ثم يزعمون أن أفعال
 العباد مقدرة لهم وصادرة منهم على جهة استقلالهم وقد مر بك بحث هذه المسألة
 عند الكلام في أفعال العباد

واحتجوا بقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) ، وهذا وهم
لا دليل عليه فان النور إما جسم وإما عرض والله تعالى ليس جسماً ولا
عرضاً كما ثبت ذلك بالبراهين العقلية

والمعنى اللائق بتنزيه الله تعالى عن الجسمية والعرضية أنه منور
السموات والأرض على سبيل المجاز كما تؤيده بعض القراءات فان الله
منورهما بالكواكب ويهدي الأنبياء عليهم السلام أو بالتدبير والاحكام كما
تقول للرجل البالغ نهاية التدبير في عشرينته أنت (نورهم) الذي يهتدون به
في دياجير الملمات ومدلهم الخطوب ، أو المعنى كما قال (ابن عباس) أنه
هادي من في السموات والأرض فهم بنوره يهتدون وإضافته إليهما للدلالة
على سعة إشرافه

ومنهم (الجعد بن درهم) مؤدب (مروان بن محمد) الذي يقول إن الله
جالس على العرش ، أخذنا بظاهر الآية الشريفة (الرحمن على العرش
استوى) مع أن روح الآية ومتعارف اللغة وتنزيه الله تعالى تقتضي أن
يكون الاستواء بمعنى الاستيلاء كما في قول الشاعر :

قد استوى بشر على السراق من غير سيف ودم مهراق

ومن المشبهة (الهشامية) الذين قالوا : إن الله كنور السبيكة الصافية
يتلألاً نوره من جوانبه و (الجولقية) الذين قالوا أنه على صورة إنسان
نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت ، ومنهم (البيانية) أتباع
(بيان بن اسماعيل) الذي قال إن الله على صورة إنسان وأنه يهلك كله إلا
وجهه تمشياً مع ظاهر الآية (كل شيء هالك إلا وجهه) وما أظن هذا
الادعاء وما قبله في حاجة إلى إبطال فالبطلان واضح فيهما سبحانه وتعالى
ليس كمثل شيء وهو السميع البصير

ومن المشبهة طائفة (الكرامية) أتباع (محمد بن كرام) المتوفى سنة ٢٥٦ هـ كان له تبع كثيرون في جهة نيسابور ومن قولهم أن الله جسم له حد ونهاية من الجهة التي يلاقى بها عرشه ، ووصفوه تعالى بأنه جوهر ، وأن الله مماس لعرشه الذي هو مكان له ، وأنه محل للحوادث فادراكه للهرئيات والمسموعات وأقواله وإرادته اعراض حادثة فيه ، وزعموا أنه لا يموت في العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث اعراض كثيرة في ذاته منها إرادته لحدوث ذلك الحادث وقوله له (كن) على الوجه الذي خصصه به ، ولا يعدم من العالم شيء إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فيه تعالى وقوله (كن معدوما) إلى غير ذلك من الاباطيل التي لا يقبلها عقل سليم ، وقد تكفلت الأدلة العقلية في مباحث التوحيد بنفي التحيز عن الله ونفي التركيب في الذات فلا تطيل في الرد على هذه الضلالات وكم (للكرام) من آراء باطلة في الفقه كنزعه أن العبادات تصح من غير نية وتكفي نية الاسلام وأنه يجوز الخروج من الصلاة بالأكل والشرب والجماع عمدا ثم البناء على ما صلى منها وجوز الصلاة في نوب مستغرق في النجاسة

الباطنية والفراطة

الباطنية فرقة تقول أن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا وكانوا يلقبون في العراق (بالقراطة) وفي خراسان (بالمحددة والتعليمية) وهم يقولون إننا شيعة (اسماعيلية) تميزنا عن الشيعة بهذا الاسم وهم يتأولون آيات القرآن الكريم على أهوائهم فيزعمون أن الملائكة هم دعائهم ، والشياطين مخالفوهم والصلاة موالاة إمامهم والحج زيارته والصوم الإمساك عن افشاء سره وأن من عرف الله سقطت عنه العبادة يتأولون في ذلك قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يريدون

باتيان اليقين معرفة التأويل والمعني الواضح الحق (حتى يأتي الموت) فليس
شيء مما يطرأ على الانسان متيقن الوقوع كالموت

ونشأ من تأويلاتهم هذه أن أضلوا كثيراً ممن استهوهم شياطينهم
وممن يرغبون في التحلل من قيود الشريعة والقيام بالتكاليف (وكثير ما هم)
فقدأباحوا نكاح الأخوات والبنات وشرب الخمر وسائر اللذات

بالتأويل

قال بدعوتهم (ميمون بن ديسان) المعروف (بالقداح) وهو
من (الاهواز) كان مولى لجعفر الصادق ، أعلن دعوته عند أكراد الجبل
وانتسب لعقيل بن أبي طاب لما رحل إلى بلاد المغرب فقبل دعوته قوم
من غلاة الروافض والحلولية ثم ادعى أنه من ولد (محمد بن اسماعيل بن جعفر
الصادق) مع أن (محمد) هذا لم يعقب وآزره في دعوته هذه رجل يقال له
(حمدان قرمط) سنة ٢٦٤ هـ وكانا كارا (حرثا) من أكراد العراق فنسبت
إليه فرقة (القرامطة) التي تستقي من معين الباطنية .

والقرامطة هؤلاء من الزنادقة الذين ضلوا واضلوا واستباحوا المحرمات
وعاثوا في البلاد فسادا لما كثرت جمهرتهم ممن يميلون إلى الاهواء ويحبون
التحلل من قيود الدين ، ويرحبون بدعوة أعداء الاسلام من المجوسية
والشوية إذ قيل أن أول داع إلى هذا المذهب كان يميل إلى عقيدة المجوس
ونشأ في مهد هذه الديانة من جهات فارس

وكان ظهور دعوة الباطنية زمن (المأمون) وانتشرت زمن المعتصم
فوكل بحربهم (الإفشين) ثم (عبد الله بن طاهر) و (أبادلف ^(١) العجلي)

(١) هو القاسم بن عيسى بن ادريس العجلي ، الشجاع الكريم ، مات سنة ٢٢٦ هـ
وفيه يقول أبو تمام : —

تكاد عطاياه يمن جنوبها إذا لم يعوذها بنفحة طالب
ويقول غيره : —

إنما الدنيا أبو دلف بين بادية ومختصره
فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

كما حاربهم الاخشيديون بعد ما رأوه من استفحال شرهم وانتشار ضلالاتهم وقد ظهر حفيد (ميمون بن ديسان) بالشام وانتصر على جيش المعتضد ودخل (ابن جريرة) الرصافة وأحرق مسجدها الجامع ، وفي سنة ٣١٢هـ قتل القرامطة أكثر الحجاج وسبوا الذراري وأمعنوا في أذى الناس

وبالجملة فالباطنيون والقرامطة من أشد الناس خطرا على الإسلام ، والقرامطة ممن قالوا بتناسخ الأرواح . ولهم كتب تبين مذاهبهم الضالة منها كتاب (أساس الدعوة) وكتاب (تأويل الشرائع) وكتاب (كشف الأسرار).

والذي يدل على أنهم متأثرون في دعوتهم بديانة المجوس والثنوية اتحاد أصول دعوتهم مع أصول تلك الديانة ، فلما نوبة يقولون (ان النور والظلام فاعلان قديمان ، والأول فاعل الخير والثاني فاعل الشر) والمجوس كالثنوية في ذلك سوى أنهم زعموا أن صانع الخير قديم وهو الاله وفاعل الشر حادث وهو الشيطان ، والباطنية يقولون ان الاله خلق النفس (فهو الأول والنفس هي الثاني) والاثنان مدبران للعالم وسموها (الأول والثاني) أو (العقل والنفس) فانت ترى أنه لا يكاد يوجد فرق بين نحلة المجوس والثنوية من (قدامى الفرس) ودعوة الباطنية ممن يتحلون الاسلام وهو منهم براء ، بل إنهم إذ حاولوا الكيد للاسلام أفزعتهم سيوف المسلمين فاجئوا الى الحيل يغوون بها الضعاف الذين يسرهم أن يتحللوا من قيود الشرع وحدود الدين ، وما كان تشبثهم بالتشيع إلا حيلة وتماديا في التستر وإمعانا في الكيد وكان لهم في استمالة العامة إلى مذهبهم طرق شيطانية فاهم يبدؤون بتشكيكهم في الكتب السماوية كافة ويدعونهم الى نبذ الشرائع ثم يشككونهم في الحياة الآخروية حتى ينكروا البعث والمعاد وغيرها

ويفهمونهم أنه كان قبل آدم خلق كثير يبعثون بذلك إضعاف العقيدة والتوصل به الى قدم العالم كما قالت الفلاسفة ، وكل هذا واضح من رسالة أرسلها رأس من رؤوس الباطنية (عبيد الله بن الحسن القيرواني) الى داعية من دعايتهم (سليمان بن الحسن الجناني) يقول فيها ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه ، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن آمنت منه رشداً فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلسفي معولنا وإنا وإياهم مجمعون على قدم العالم)

يتضح من ذلك أن الباطنية والقرامطة هم الزنادقة المارقون الذين اصطنعهم المجوس للكييد للإسلام فكانوا عند ظنهم وكانت لهم جبهة كشفية في جهة الهند الى أن بددها وقضى عليها (محمود بن سبكتكين) حين غزا الهند واستولى عليها رحمه الله ، هذا ولم يبق من ذيوهم إلا فئات ضئيلة متفرقة جهة الهند والشام ولبنان (١)

(البهائية)

هذا ومن ذبول الباطنية طائفة فارسية الأصل توجد الآن بجبهة الشام تدعى (البهائية أو البابية) نسبة إلى (بهاء الله ميرزا حسين علي) أو الى (الباب ميرزا علي محمد) وهما فارسيان ظهر الثاني منهما بشيراز جنوبي فارس وكان تاجراً ثم أعلن دعوته التي تستقي من معين الباطنية سنة ١٢٦٠ هـ فأعدمته الحكومة الإيرانية سنة ١٢٦٥ هـ وخلفه الأول فسيجنته ثم نفته الى بغداد سنة ١٢٦٩ هـ فلما تمادى في ضلالاته نفته الدولة العثمانية الى (أدرنه) ثم الى (عكة) وهلك بها سنة ١٣٠٩ هـ فخلفه ابنه (عبد البهاء عباس)

(١) منهم الدروز الذين يقولون بحلول روح الله في الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ومحمود

ابن سبكتكين هو سلطان غزنه توفي سنة ٤٢١ هـ

~~عن بعض المؤلفين أن البهائيين هم الذين يسمون بالبهاية في بلاد الشام والهند~~
~~وهم بالهند يسمون بالبهاية في بلاد الشام والهند~~

ولهذه الطائفة دعاة يروجون لها وكتب تنشر مذهبهم ، وهي كالباطنية في دعوى التشيع والتشبهت بكثير من الضلالات فمن ذلك أنهم يؤولون الكتاب العزيز والحديث الشريف على حسب أهوائهم ، يريدون بذلك تشكيك الناس في العقيدة ، حتى يسهل عليهم مهاجمتها ، وصرف الناس عنها ، تعصبا إلى دينهم الأول الذي أزاله الاسلام بعد غزو فارس . فيقول أحد دعائهم في كتابه (الدرر البهية) (ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرة ومذاهبها اللغوية ، بل المراد المعاني الخفية التي أطلق عليها الألفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه) ، وواضح أن هذا نوع من التويه والبهتان فالقرآن كما وصفه الله كتاب عربى مبين أنزله الله على رسوله الامين ليبلغه الناس فيتدبروا آياته وليتدكر أولو الالباب ، ولا يتحقق ذلك الغرض من القرآن اذا كانت ألفاظه لا تعرب عن مدلولاتها ولا تقصص عن معانيها ، وما فائدة الرسالة اذا صح ما يزعمون ، لاشك أن القوم يظهرون بلباس الاسلام ليستطيعوا نفث سمومهم ويصلوا الى مالا يستطيعون لو ظهروا بمظهرهم الحقيقي ، فهم لذلك يلجئون الى ما لجأ اليه أسلافهم الباطنية من صرف معاني القرآن الى أهوائهم ولولا أن أخذت الحكومتان الفارسية والعثمانية عليهم السبل لاستفحل شرهم واستشرى داؤم وكانت لهم فتنة لا تقل عن فتنة أصلهم من الباطنية والقرامطة الذين عاثوا في الأرض فسادا . وكما ادعى الباطنية حلول الله في الاشخاص ادعى هؤلاء مثل هذه الدعوى فيقول (عبد البهاء عباس) (وقد أخبرنا (البهاء) بأن مجيء رب الجنود والانبيا الازلي ومخلص العالم الذي لا يد منه في آخر الزمان عبارة عن تجليه في هيكلي (عيسى الناصري) إلا أن تجليه في هذه المرة أتم وأكمل وأبهى ، فميسى وغيره من الانبياء هيثوا الافئدة والقلوب لاستعداد هذا التجلي الاعظم)

وورد في بعض كتبهم (أن الكون بلا مبدأ زمني . وانه صادر أبديٌّ
 عن العلة الاولى) فلا يغرنك تمويههم واعلم أن صدور العالم عن العلة
 على حسب تعبيرهم لا يفيد الأبدية كما يعتقدون وانما يفيد عقلا انه حادث
 لأن العلة مهما اتصل بها المعلول سابقة عليه في مرتبة الوجود وبدهى
 أن مفيض الوجود سابق في الوجود على المفاض عليه ، وإلا كان الحكم بأن
 هذا علة وهذا معلول ترجيحاً بلا مرجح ، وهنا يجدر أن نقول إن إطلاق
 لفظ العلة على واجب الوجود سبحانه وتعالى من قبيل المشاكلة والمجاراة لعبارة
 الحكماء في جدلهم ليس غير ، وإلا فله الأسماء الحسنى والمختار أنها توقيفية ،
 على أن الله تعالى موصوف بالارادة والاختيار وقبل أن يخلق العالم كان ولا
 شيء معه فلما تعلقت قدرته وإرادته بخلق الكون أوجده من العدم فليس
 هنالك مجال لدعوى قدم العالم بحجة أن الشيء لا يتخلف عن علته ، إلا إذا
 قال أولئك القوم بتجريدته تعالى عن الارادة والاختيار وهذا ما نهضت
 الأدلة العقلية الحاسمة على نفيه عن الله بعد ما ثبت وجود الممكنات ،
 واحتياجها الى موجد ، وأن ذلك الموجد ليس من طبيعة الممكنات
 وأنه ما دام كذلك فهو الواجب الذي لا يشابه الممكنات فلا يوصف
 بالكراهية ^(١) والاضطراب

(١) ولا قيمة لاعتراض يتوجه إلى قضية (أن العالم مخلوق من العدم) فإن الخالق
 جل ثناءه صاحب القدرة التي لا نهاية لها ، وغير مفتقر الى شيء آخر (وهذا ثابت
 بالأدلة العقلية) فلا يتقيد في خلق العالم بشيء وفي قدرته أن يوجد الشيء من العدم
 الصرف وإلا كانت قدرته محدودة وذلك مما أحاله العقل وادعاء أنه لا يتصور (صدور
 شيء من لا شيء) يليق بالممكن الذي له قدرة محدودة ، أما (الواجب) جلت قدرته
 فلا يتقيد بما يتقيد به الممكنات ودعوى أن ذلك مما لا يدركه العقل لا تنفي إمكانه

وزعم (عباس) أن تعاليم (البهاء) (تحتوى على جميع آمال العالم، وأن الجميع يجدون فيها ديناً عمومياً في غاية الموافقة للعصر الحاضر) وبزعم أنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على أصول نوااميس (موسى) عليه السلام الذى يؤمنون به جميعاً) وليس معنى ذلك سوى الطعن على شريعة الاسلام، والدعوة إلى نبذها والتصل من الدين جملة بعد ما استقر فى النفوس أن الاسلام دين الفطرة، وأنه خاتم الديانات ورسوله عليه السلام خاتم الانبياء وليس بعد هذا قول أدل على خبث نية هؤلاء القوم نحو الاسلام والمسلمين

ثم إن القوم لا يؤمنون بالبعث والنشور والثواب والعقاب (كما وصفهما القرآن الكريم) ويؤولون يوم القيامة بمجىء (البهاء) والجنة بالحياة الروحانية والنار بالموت الروحاني، وهذا صريح فى تجردهم من لباس الاسلام الباطنية له ومن عجب أنهم مع كل ما تقدم يتمسحون بالاسلام، ويدعون التشيع تنسح وهم ظل لأسلافهم (الباطنية والقرامطة) الذين أجمعت الأمة على مروقهم بالاسلام من الدين، وعلى أنهم سلائل المجوس الذين غاظهم زوال ديانتهم بأشراق نور الاسلام على أرض فارس فاحالوا للنيل منه بتلك الدعاوى والتشيع لآل البيت وهم منهم برآء وقانا الله شر الفتن والوقوع فى حبال المضلّين، وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

بالنسبة لله إذ لا يلزم من الجهل بالشئ نفيه، وكثيراً ما يقف الانسان حائراً دون حقائق الاشياء وهو يشاهدها بحواسه فكيف بأمر نسبه إلى بارئ الكون وواجب الوجود (أما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

كلمة اجمالية في الفرق

١ — كانت فكرة الشيعة أول الأمر التعصب لعلي كرم الله وجهه وأولاده من بعده ثم دخلها الجدل الديني ليؤثروا به على العامة ولم تخل من دخیل يكيد للدين في الخفاء، متشحا بوشاح الاسلام، والغيرة على آل البيت . وقد فطن الامام علي كرم الله وجهه إلى هذه المسكيدة فنفى (عبد الله بن سبأ) وشرده في الآفاق ولم يبق على من ادعوا ألوهيته منهم فقل انه أوقد النار وأحرقهم وبينهم وبين الخوارج تمام التناقض فالشيعة يوجبون الامامة في علي وآله، ويقولون ان ذلك ثابت بالنص جليا أو خفيا وبعصمة الائمة وان الامامة في (علي) لا تخرج عنه وعن أولاده شرعا، وإن خرجت فبظلم من الناس أو بتقية من أولاده، ثم هم يجعلون الاعتقاد بالامامة جزءا من الايمان

٢ — أما الخوارج فيجوزون أن تكون الامامة في غير بنى علي بل في غير قریش بل يروى جواز خلو العالم من إمام ويوجبون محاربة الامام الجائر وينفون العصمة عن سائر البشر، وأقرب الشيعة إلى أهل السنة، الزيدية، وأبعدها من شرعة الاسلام الغلاة الذين اعتقدوا حلول الله تعالى في الانبياء والائمة وقالوا بالرجعة أو بالتناسخ

٣ — وأما المعتزلة^(١) فقد نما مذهبهم أول القرن الثاني، ولما كان كثير منهم من الفرس، وكان للفرس مكانة في الدولة العباسية، نبه شأن المعتزلة

(١) زيادة على ما أسلفناه في أصل تسميتهم يقال ان سببها اعتزال شيخ المعتزلة وامامهم (عمرو بن عبيد) المتوفى سنة ١٤٤ هـ مجلس (قنادة بن دعامة السدوسي) الذي تصدر في مجلس (الحسن البصري) بعد وفاته فلما اعتزلوه سماهم المعتزلة، وقنادة هذا توفي سنة ١١٧ هـ (بواسط)

وعاضدهم الخلفاء^(١) فانتشر مذهبهم انتشارا عظيما وعارضهم السلف الصالح
 رضى الله عنهم بقوة الدين لابقوة الدولة ومن العدل أن نقول ان المعتزلة
 طالما دافعوا عن الاسلام وردوا أباطيل الفلاسفة ، ولذلك تعلموا الفلسفة
 ليكافحوا بها الفلاسفة بمثل أسلحتهم ، ثم هم لم ينكروا أنه تعالى قادر مريد
 عالم حى سميع بصير متكلم وإنما يقولون قادر بذاته ، مريد بذاته لا بصفة
 أما أهل السنة فيرون أن إثبات صفات الذات لا يؤهم التعدد فان الصفات
 ليست عين الذات ولا منفكة عنها وأن التعدد فى الذات هو الذى يقتضى
 تعدد القدماء ولما قال المعتزلة بوجوب الصلاح والاصلاح كانوا جاحدين بربيعين
 على تنزيه الله عن الجور والظلم وإن غفلوا عن نسبة الكراهية اليه تعالى ونفى
 الاختيار عنه فأنت ترى من كل ما تقدم أن المعتزلة فرقة إسلامية^(٢) بحجة
 وأنها تطرفت فى مجادلانها وآرائها حتى صارت محل النقمة من سواها
 بل انها أخذت فى التشدد فى أحكام الثواب والعقاب فقالت ان العمل شطر
 من الايمان وبنت على هذا أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر فتعرضت
 لسخط الكافة من الناس (والمعتزلة) قالوا فى الامامة بما يقرب من مذهب
 الخوارج إلا أنهم لم يروا وجوب محاربة الامام الجائر إلا عند الامكان
 وإذا انضم هذا إلى رأيهم فى أن مرتكب الكبيرة فاسق رأيت المسافة
 بينهم وبين الخوارج قريبة جدا ، والكنهم لم يعطوا صراحة الخوارج وجراتهم

(١) كان العلاف والنظام من أخص المقربين الى الخليفة عبد الله المأمون العباسي
 (٢) بعض المحققين يستبعدون كثيرا مما عرف عنهم كاقول (بأن القرآن جسم يمكن
 أن يكون مرة رجلا ومرة حيوانا) وهو منسوب الى الجاحظ ولا يتفق مع علمه ومنطقه
 ويعزون مثل ذلك الى خصومهم من الحشوية المداعمين عن جميع أهل الحديث وكل
 ما روى عنهم والرأى المتقدم المنسوب الى الجاحظ نقله (الشهرستاني) فى كتاب (الملل
 والنحل) عن (ابن الدينورى) المعروف بعداوة للاحاظ وقد توفى سنة ٢٩٨ هـ

فأبقوا باب النقية مفتوحا ، على أن هذا لا ينفي أن من المعتزلة من عرض للحياة الآخوية بما لا يتفق مع العقيدة السليمة في شيء ، ومن قال بالتناسخ وهو (أحمد بن حنبل) تلميذ (النظام) ومهما يكن من أمرهم فهم بعيدون من أن يكونوا آلة في يد عدو يكيد للإسلام كغلاة الشيعة ومن الذي يستطيع أن يجحد للمعتزلة وقوفهم بالمرصاد للفئة الكرامية القائلين بالتجسيم ؟

٣ - وأما المرجئة فقد ظهوروا أواخر القرن الأول وأنت خير بآن مذهبهم مذهب تساهل يهون ارتكاب المعاصي الأمر الذي لم يقل به أهل السنة ، والذي غلا فيه المعتزلة فضنوا على صاحبه بصفة الإيمان

٤ - القدريّة يستقون من معين المعتزلة في مسألة إثبات الاستطاعة للعبد

٥ - الجبرية^(١) مضادون للقدريّة والمعتزلة وأهل السنة في دعواهم أن العبد مجبور على أعماله الاختيارية. هذا، ويمكنك أن تعد القدريّة غلاة المعتزلة كما أن الخوارج في مسألة مرتكب الكبيرة ومسألة الإمامة غلاة المعتزلة أيضا

٦ - وأما القرامطة والباطنية فليسوا بدوى رأى إسلامي كما قرأت

(١) وقد عد صاحب (خيئة الأكوان) من الجبرية (ضرار بن عمرو) ولم يورد عنه ما يشعر بذلك وعده الشهرستاني معطلا ونسب إليه القول بأن أفعال العباد مخلوقة لله وأكساب للعباد) وليس في هذا جبر كما ترى ، وعده ابن حزم من أقرب المعتزلة إلى أهل السنة

وهكذا تختلف أحكامهم على الأشخاص تبعا لتعدد الأقوال المنسوبة إليهم وقد ينسب الواحد إلى فرق عدة مثل ثوبان فقد وصفوه (بالمرجى* الخارجي المعتزلي) وسموه (جامع النقائص) والمهم عندنا معرفة المذاهب والباعث عليها وأشهر رجالها وهو ما تحريناه وصرفنا لأجله النظر عن أسماء كثيرة جعلت رهوس فرق ، في حين أن ذويها لم يمتازوا بصفة خاصة يزيد بها عدد الفرق عما أوجبه أصول الافتراق

في تاريخهم وإنما هم زنادقة جاحدون وأعداء لمناوأة الاسلام مدفوعون

٧ - وأما الخوارج فقد أسلفنا الكلام عنهم بما فيه الكفاية

٨ - وأما أهل السنة فقد ظهر مذهبهم باعتباره مذهباً ذا قوة وجمهرة في أوائل القرن الرابع ، وقد كان معظم الناس إلى نهاية القرن الثالث بين شيعي ومعتزلي ومرجئي ومشبه وقدرى ، وقل منهم من كان على مذهب الساف الصالح فلما جاء الامام الحسن الأشعري ، قام يفسد آراء تلك الفرق ، وسلك في ذلك مسلكاً وسطاً بين الساف الصالح ومخالفهم من المعتزلة والمشبهة ، فأقبل الناس على مذهبه وعاضده كثير من أئمة الفقهاء والمتكلمين فعرف رأيهم برأى أهل السنة والجماعة ، ووضعوا علم التوحيد على الأصول القويمة المعروفة وبذلك انقطعت ذرائع الابتداع أو كادت ، وأنت ترى أن هذا المذهب متأخر في مرتبة الوجود عن المذاهب الاسلامية كلها فهو منها بمنزلة الحكم^(١) الفاصل في منازعاتها

هذه موازنات يسيرة جئت بها بعد بيان تلك المذاهب تثبيتاً لها وإيضاحاً لغامضها وتقريراً لمعانيها : —

(١) وأصناف أهل السنة هم علماء التوحيد السالكون طريق الصفاتية ، وأئمة الفقه كأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وسائر الفقهاء الذين لم يخلطوا الفقه بأهواء الفرق الأخرى ، ورجال الحديث الذين لم يخلطوا علمهم بنزعات تضاد عقيدة أهل السنة ، وأئمة اللغة الذين لم يجاروا الفرق الأخرى في عقائدهم كالخليل بن أحمد وأبي عمرو ابن العلاء ، وعلماء القراءات والمفسرون على سنن أهل السنة ، والزهاد والصوفية الذين جرى قولهم في جميع أحوالهم على السنة كالامام الغزالي ، والاستاذ عبد الوهاب الشعراني والشيخ محي الدين بن العربي بخلاف القائلين (بوحدة الوجود) فإن لهم شأناً آخر يذكر فيما بعد ، وعامة البلدان التي غاب فيها مذهب أهل السنة ممن لم يعتقدوا في بدع الفرق الأخرى

الصوفية

الصوفية (سواء أكانت منسوبة إلى الصفاء^(١) ، أم إلى الصُّفَّة^(٢)) ، أم إلى الصوف^(٣)) رمز إلى الزهد والتقشف والتعلق بالله جل وعلا والتعرف إليه ، والانصراف عما عداه ، والاستهانة بزخرف الحياة ، فهى مذهب روحى بكل معانى الكلمة . قال (الجنيد) : (التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة) وقال (معروف الكرخي) : (هو الاخذ بالحقائق والياس مما فى أيدي الخلائق) وقال آخر (التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر ، والتحقق بالبذل ، وترك الغرض والاختيار) وقال (ابن خلدون) . (الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله ، والاعراض عن زخرف الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور ، من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وقد كان ذلك فاشيا في الصحابة والسلف ، ولما عم الافبال على الدنيا في القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم (الصوفية أو المتصوفة)

يستبين مما تقدم أن الأصل فيها عمل روحى ، وأن هذا العمل كان فى صدر الاسلام ولكنه لم يعرف بالاسم الذى اصطحق الناس عليه الا فى القرن الثانى للهجرة

نعم كان ذلك شأن كثير من الصحابة والتابعين ومن تلامهم كسيدنا عمر ابن الخطاب ، والحسن البصرى ، وعمر بن عبد العزيز ، ولكن لم يكن

(١) صفوى فخرت الى صوفى

(٢) مسجد النبي عليه السلام

(٣) لائه لباس التقشف فى ذلك العهد

ليصرفهم عن العمل الديوى الذى يعود نفعه عليهم وعلى الكافة ، ولم ينسهم زهدهم ونسكهم أن الله جعل الدنيا مزرعة للآخرة ، ولا يعقل أن يكون منهم سوى ذلك وهم صحابة النبي عليه السلام أو التابعون قريبو العهد بمن الرسالة ، وهم يعلمون أن أصول الشريعة الغراء تجعل السعى على العيش (من وجوهه المشروعة) فى مقدمة القربات إلى الله ويتدبرون قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

فكانت الفكرة التى بنى عليها التصوف داعية لطهارة القلوب ، وتصفية النفوس ، وإحكام الروابط على أكل وجه بين عمل الدنيا والآخرة وكذلك كان الصدور من زعماء المتصوفة ، ولا يزال منهم السادة المتقون الداعون إلى الخير ، السالكون إلى اليوم طريق الدين القويم

لقد كان لهذا المذهب أطوار وتقلبات ، فعلى فيه قوم حتى وقعوا فيما أسلفت الكلام فيه ، مما دعا البعض إلى تكفيرهم ، وحمل البعض الآخر على الإشفاق عليهم والتماس المعاذير لهم ، على أنه بنى تلك المعاذير على تجردهم فى بعض أحوالهم من سلطان العقل ، ومن أولئك القوم (الحلاج) الذى لم ينجه اختلاف أئمة عصره فى شأنه من الصواب والاحراق

وحاد قوم آخرون عن جادة الصوفية ، فاتخذوا التصوف حرفة لهم ، وجعلوا منه طريقا للعيش ، وانقطعوا عن العالم أو كادوا ، وعطلوا قواهم وجهودهم التى لو استغلوها (مع زهدهم وورعهم) لكان لهم ولغيرهم خير عظيم ، ومن أولئك القادرون على الكسب من العاكفين فى (الاربطة^(١)) الذين وصفهم من يحسنون الظن فى كل شئ بأنهم آثروا الآخرة على الدنيا وحرروا أنفسهم طيبات ما أحل الله ولم يفقهوا حكمة الله فى خلق الحياة الدنيا

ولا قيمة السعى على المعاش ، ولا أن العمل في الدنيا طريق للسعادة في الآخرة

ويصفهم الآخرون بالوكيلين الكسالى الذين هانت نفوسهم وأخطت عزائمهم فشاركوا العجزة والمساكين واعتدوا على حقوق الأراامل واليتامى من ذوى الفاقة الذين هم أولى برىح أوقاف المسلمين

هذا وقد مضى القرن الثانى للهجرة وفكرة التصوف خلو من كل ما يوههم (الحلول والاتحاد والوحدة) فلما جاء القرن الثالث وكثر اختلاط الصوفية بالغلاة من الشيعة كالاسماعيلية سرت اليهم أفكار غريبة عن أصل مذهبهم ، وهنا يحسن أن ننقل عبارة للعلامة (ابن خلدون)

قال (إن المتأخرين من المتصوفة القائلين بالكشف ، وفيما وراء الحس توغلوإ فى ذلك ، فذهب الكثيرون منهم إلى الحلول والوحدة ، وملئوا الصحف من قبل ^(١) (ابن العربى ^(٢) وابن الفارض ^(٣)) وقد خالطوا (الاسماعيلية) المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول والهيئة الأئمة فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم ،

(١) يعنى بمنل كلامهما

(٢) هو الاستاذ (أبو بكر اسحق بن أحمد بن عبد الله الحاتمى) ولد فى سنة ٦٠٠هـ بالاندلس وكان ظاهرى المذهب فى العبادات ، باطنى النظر فى الاعتقادات ، وله مؤلفات عدة كلها شاهدة بفضل ، رحل الى الحجاز ، ودخل مصر ، وأقام بمكة مدة ولم يعد الى الاندلس وقبره بالشام

(٣) العارف بالله (شرف الدين عمر بن الفارض) ولد بالقاهرة ، كان آية فى الزهد والتعلق بالله وشعره عذب حافل بالتورية وغيرها من المحسنات البديعية وقبره بجبل المقطم وفيه يقول أحد الشعراء

جز بالقرافة تحت ذيل العارض وقل السلام عليك يا ابن الفارض

وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام الصوفية (القطب) ومعناه (رأس العارفين) يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لا آخر من أهل العرفان)

وليلاحظ أن الزهد أساس من أسس التصوف ولكن الصوفي يجعل همه معرفة الله (جل وعلا) لا يتطلع في زهده إلى شيء سواه واعتبر ذلك في قول (رابعة ^(١) العدوية) المتصوفة (إلهي إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقني بنار جهنم ، وإن كنت أعبدك رغبة في الجنة فأحرق منيها وأما إذا كنت أعبدك (يا إلهي) من أجل محبتك فلا تحرمني من جمالك الأزلي) وقولها : (حي لله لا يترك محالا في قلبي لحب مخلوق أذكره) (وقول ابن الفارض) سلطان العاشقين : —

وما رد وجهي عن سبيلك هول ما لقيت ولا ضراء في ذاك مست
وما هو إلا أن ظهرت لناظري بأكل أوصاف على الحسن أربت
فليت لي البلوى فليت بينها وبينى فكانت منك أجمل حلية
إلى غير ذلك مما تفيض به أقوال المتصوفين ، وكله غرام بالذات
الالهية ،

كلمة في الطرق الصوفية

ولقد كان التصوف مذهباً واحداً ذا أسلوب واحد ثم دخله التفرق باختلاف الأزمان والبيئات ، فنشأ من ذلك طرائق عدة ، لكل طريقة تقاليد وعادات ونظم خاصة في عبادتها وطراً على الصوفية فمكرة

(١) أم الخير رابعة بنت إسماعيل مولاة آل عتيك توفيت سنة ٢٣٥ هـ وقبرها بالبصرة مشهور يزار

التبتل^(١) والانقطاع فى الرُّبْط (التَّكْيَا) واخترعت أسماء عدة تحدد نظام كل طريقة كالشيخ ، والمريد ، والدرويش^(٢) وصار لابد للمريد قبل انخراطه فى سلك الطريق من دورى رضاء^(٣) وفطام

كل ذلك لم يكن موجودا فى الصوفية حتى جاء القرن الثالث فظهر وشاع بين المتصوفين كما ابتدع بعض الفرق الأغاني والموسيقى والشعر الصوفى تستعين بها (على ما تزعم) فى حلقات الذكر التى تعقد على أنماط مختلفة مما شوه كثيرا من وجه التصوف ، وقل من روعته وبعض الفرق تغالى فى هذه البدع وفى تحريك الأبدان على نغم الموسيقى إلى حد يأباه الشرع ، ولا يتفق مع أصول الدين ، وخشوع الذاكرين : —

هذا والطرق الصوفية كثيرة ولها مشيخة تشرف عليها ، وترد الجامع منها إلى حظيرة الصواب ، ومنها ماله شأن كبير ، وأتباع كثيرون كالشاذلية والأحمدية والسنوسية والغنيمية والمغازية مما لا يحتاج إلى إطالة فى التعريف شهرته وكثرة أتباعه

ومنها طريقة معروفة بغلوها فى استعمال آلات الطرب ، والافتنان فى حركات الجسم ، إذا عقدت مجالس الذكر وهى (المولوية) ولهم رباط مشهور فى القاهرة يقصده كثير من الناس (حتى الأجانب) ليقفوا على ما ابتدعه هؤلاء القوم من النغم الموسيقى ، وتوقعه بحركاتهم^(٤) أتباع (جلال

(١) الانقطاع الى العبادة

(٢) كلمة فارسية تؤدى معنى (المريد) وقيل معناها (مكنت بالقليل) أى زاهد

(٣) يراد به دور الاختبار والاستعداد لتكاليف الطريق

(٤) المولوية وهم منسوبون الى جلال الدين الرومى (المولى)

الدين الرومي (المولود (بباخ^(١)) سنة ١٢٠٧ م ، تلقى العلم في حلب والشام ثم تصوف ، وله ديوان شعر فارسي اسمه (ديوان شمسى تبريزى) كله تصوف ، تتخذ قصائده للغناء في مجالسهم وله ديوان آخر اسمه (المسنوى) به الألوف من أبيات الشعر الفارسي موضوعه (محبة الروح لله وتوقها للرجوع الى مصدرها) وهو ممن يعتقدون بوحدة الوجود وقد رحل الى مدينة (قونية) زمن السلاجقة ومات بها سنة ١٢٧٣ م وكان له عند الخلفاء العثمانيين مقام جليل

شئ من الفلسفة الصوفية

لا نعتقد أننا خرجنا عن طريق الإيجاز ، إذا ما وقفنا وقفة قصيرة لنعرض عليك صورة مصغرة للفلسفة الصوفية ، فقد تفيد كثيرا في فهم كثير من أسرار هذا المذهب الاسلامى الذى تشعبت طرقه ، وتكاثرت فروعها .

فليدبرهم ما يسمونه (طريق الوصول الى الله) وهم يصنفون من قطعه (بالواصل) ومن يسلكه (بالسالك) ومن يعاهده الناس على طريقته (بالمسلك) ويسمون السير فيه سفرا أو حجا ، ولهذا السفر أو الحج عندهم (مقامات) هي : التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرضا ، وكل مقام منها محتاج إلى مجهود وطول منازعة لأهواء النفس ، ولا بد للسالك فى (نظرم) من شيخ يهديه الطريق ، وإلا كان سعيه قليل الثمرة

وفى مقام الورع يختص المرء نفسه بخدمة غيره من الناس مبالغة فى قهر

(١) ببلاد الافغان

النفس وإخماد شررتها ، وإفناء إرادتها ، وشغلا للعواطف فلا تنصرف إلا إلى الله .

وفي مقامى الزهد والفقر يصرف نفسه عن الملمات ويجعل شعاره
(قلب فارغ ويد فارغة)

وفي مقام الصبر يعذب نفسه ظنا منه أنها تحول بنزعاتها دون معرفته
واجب الوجود

وفي مقام التوكل يجرد نفسه من إرادتها ، ويستسلم ويتغافل عن مستقبله
وفي مقام الرضا تتم راحة النفس ويغشاها نوع من الطمأنينة والسلام
ويسمى (واصلا)

ولديهم نظرية (مذهب الإشراق) يعنون به أن المرء إذا خلصت
نفسه من الشوائب ، وتجرد من كل شيء سوى الله ، أشرق في قلبه نور
اليقين ، فلا يكون للشيطان محل يوسوس به في القلب ، ويفنى عن كل شيء
حتى عن نفسه فلا يشعر بشيء سوى الله

وطريق الوصول إلى هذه المنزلة تكون بالوجد والحبور والفناء ،
والسمع ، والجذبة ، والسكّر ، والحال ، ويقصدون بالسمع أن الصوفي
يستطيع تكاف الوصول إلى درجة الإشراق بكثرة الذكر ، والاستعانة
بالموسيقى ، وآلات الطرب ، والتوقيع ، وبالفناء انعدام الشهوات والرغائب
وبفناء الفناء انعدام التفكير في الوعي حتى لا يحس أحدهم بأنه في حالة الفناء
ويفقد شعوره

وعندهم نظرية (المعرفة) يريدون بها (معرفة الله) وتكون باشتغال
القلب والروح والسريرة بالله جل وعلا ، فيحصل من كل ذلك العرفان ،
والحبة ، والتأمل . وفي هذه المنزلة يتنصر (العارف) على جميع وساوس
الشيطان

ثم عندهم نظرية (الحب الإلهي) والهيام بالذات الإلهية ، وتفتحهم معنى ذلك مما قرأته أول الكلام على الصوفية من كلام (رابعه) و (ابن الفارض) وقيل إنهم لجئوا إلى هذا النوع ، وأفرطوا في عبارات (العشق والحمر والتغزل) حفظاً لأسرارهم ، واستتاراً وراء الرموز كما يشير إلى ذلك (سيدي محي الدين بن العربي) إذ يقول (ليس في مستطاع العارفين إيصال شعورهم إلى غيرهم ، وغاية ما في هذا المستطاع هو الرمز عن تلك الظواهر لا أولئك الذين أخذوا في محاربتها)

وقد جعل (عفيف الدين التلمساني) مراحل التصوف أربعاً : —

الأولى المعرفة وتنتهي بالفناء ، والثانية حال تبدأ حيث ينتهي الفناء ويعقبه البقاء وهنا يسمى السالك حقاً (وليس بالحق) ثم يصل إلى درجة (القطب) أو (الإنسان الكامل) والثالثة توجه السالك إلى المخلوقات للهداية والارشاد إلى طريق الدين ، وسلوك السبيل ، والرابعة (الموت) ويعنون به انقمار الصوفي في الصفات الربانية والأنوار الإلهية ، فيطالع الله في مرآة نفسه

ومن هنا انجر بعض القوم إلى القول بالحلول ووحدانية الوجود ، وستعلم الحكم فيما نسب إلى بعض الصوفية من القول بهما في الكلام على وحدة الوجود ، والحلول

وحدة الوجود

مذهب أحدثه متأخرو الصوفية المتكاملون بالكشف وفيما وراء الحس كما نص عليه ابن خلدون في المقدمة ، ولعل أحسن طريق في بيان معناه ، والرد عليه أن نلخص عبارة لعبد الغني النابلسي في كتابه (إيضاح المقصود في معنى وحدة الوجود) الذي بدار الكتب الملكية ثم نرد آراءه بما يوافق

الحق عند أهل السنة ، ثم نلخص الرد عليه آخر المبحث وفي ذلك من الانصاف والوصول الى الحق ما تطمئن اليه النفوس : —

١ — قال النابلسي (ان جميع العوالم كلها على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها ، محفوظ عليها الوجود في كل لحظة بوجوده تعالى لا بنفسها ، واذا كانت كذلك فوجودها الذي هي به موجودة في كلٍّ هو وجود الله تعالى لا وجود آخر)

ونرد عليه بأننا لا ننكر أن العوالم موجودة بوجود الله تعالى (أى بقدرته وارادته) فهو مفوض الوجود عليها ، إلا أن وجوده قديم لا نهاية له ، ووجودها حادث له مبدأ ونهاية وفرق بين وجود قديم لا اقتدار فيه ولا نهاية له ووجود طارىء ياحقه الفناء والنهاية ، فكيف يسوى العقل بين وجودين اختلفا في الحقيقة ؟ وقد أثبت الدليل العقلي أن وجود العالم طارىء وأن لا بد له من موجد ، وان ذلك الموجد لا يكون من جملة الممكنات ولن يكون الا واجب الوجود ومتى ثبت ذلك كان الواجب غير الممكن ، فيكون وجود الواجب غير وجود الممكن بالبدهة

٢ — ويقول : (فالعوالم كلها معدومة من جهة نفسها ، بعدمها الاصلى وأما من جهة وجود الله فهي موجودة ووجودها الذى هي به موجودة ، وجود واحد وهو وجود الله تعالى فقط . لا وجود لها من جهة نفسها)

ونحن نقول له : إن عاقلنا لا ينازع في كونها (ممكنة لانقتضى ماهياتها وجودا ولا عدما) وتلك طبيعة الممكنات ، ولكن ليس معنى ذلك أن يكون من رجع وجودها على عدمها مساويا لها في ماهية الوجود ، بل المنطق يقضى بأن يكون ذلك المرجح أسمى منها في رتبة الوجود ، ولا يكون ذلك إذا قلنا بما يقول (أولئك الناس) من تساوى الله تعالى والحوادث في معنى

الوجود ولو كان الأمر كما ذهب إليه لكان في استطاعة حادث أن يحفظ الحياة على نفسه أو على من يود ، أو أن يفيض منها جزءا على سواه ، ما دامت ماهية وجوده نفس ماهية وجود الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، أما إذا أراد أن وجودها مسبب عن الله تعالى فلا تنازعه في ذلك ، ثم نقول له إن السبب غير المسبب والعلة غير المعلول ، وصانع الشيء غير ذلك الشيء بالضرورة

٣ - ثم قال : (وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى عين ذواتها وصورها بل المراد ما به تلك الذوات والصور ثابتة في أعيانها وما ذلك إلا وجود الله تعالى ، وأما ذواتها وصورها من حيث هي في نفسها بقطع النظر عن إيجادها له بوجوده فلا وجود لأعيانها أصلا)

ونحن نقول له إن إنكار وجود الذوات والصور نوع من السفسطة ومكابرة في المحسوس وإن العقل والحس يجزمان بوجودها ثم يتولى العقل إثبات أن ذلك الوجود ليس لها من حيث هي وأنه ما دام كذلك فهو وجود للغير ، وذلك لا ينفى وجودها ولكن يؤيد ما قدمنا من أن الوجود للغير غير الوجود للذات

٤ - ثم قال (إن الوجود الحق عين ذات الحق تعالى وهو وجود واحد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا يتقل ، ولا يتغير ، ولا يتبدل أصلا ، وهو مطابق عن الكيفيات ، والكميات ، والأماكن ، والأزمان ، والجهات ، ولا يتصور فيه (الحلول) في شيء إذ ليس معه شيء سواه ، و (لا يتحد مع شيء) وإثما جميع الأشياء موجودة بوجوده الذي هو عين ذاته)

ونحن نقول : إن كون الوجود عين الموجود ، وكونه مطلقا ، لا ينقسم

ولا كيفية له ، ولا يحده زمان ولا مكان الخ ما وصف به وجود الله ، ان هذا أمر لا ينفعه في مذهبه ، ولا يليق بوجود غير وجود الله وهل تسوى هذا الوجود (وتلك صفاته) بوجود الكائنات الذي حصل بعد عدم وهو عرضة في كل آونة للفناء والاضمحلال ، ومحدود بأزمنة وأمكنة ومصور بكيفيات خاصة ، وكميات محدودة ؟ وكيف وقد أثبت أنه لا يتحول ولا يتبعض الخ يحيز له المنطق أن يحله في خلق ضعيف ، يتناهى في صفاته مع كل ما وصف به الوجود الأزلى من الصفات ؟

٥ - ويقول محاول الاستدراج إلى مذهبه (القائلون من علماء الكلام بأن الوجود اثنان : قديم وحديث مرادهم بالوجود الحادث نفس أعيان الذوات والصور فقط ، ولهذا كان مذهب الأشعرى بأن وجود كل شيء عين ذات ذلك الشيء ثم يقول (فمن فسره بذلك يرد القول بوحدة الوجود)

ونحن نقول أن أحدا ممن يقول برأى (الأشعرى) رحمه الله لا يقول (بوحدة الوجود) بل إن (الأشعرى) نفسه ما كان زعيم أهل السنة إلا بتصديده للرد على مثل (وحدة الوجود) فإنه يقرر أن وجود الله تعالى قديم أزلى ، ووجود الحوادث حادث فان ، وماداما مختلفين في الماهية والأوصاف يستحيل عند العقل أن يكونا شيئا واحدا ، بل الآخذون برأى (الأشعرى) أولى أن يتشبثوا بنفى (وحدة الوجود) لأن وجود الحوادث على هذا الرأى هو عين ذواتها ومحال أن يتصوروا مساواة أعيان الحوادث لمن خلقها واتحادها بمن أوجدها^(١)

(١) الأشعرى رحمه الله يقول بذلك وحجته أنه لو كان الوجود غير الموجود يكون اما موجودا فيحتاج لموجد فيحصل الدور أو التسلسل واما معدوما فيلزم وصف الشيء بنقصه

مما تقدم وضح لك معنى (وحدة الوجود) في زعم بعض الصوفية ،
واستبان لك أنه لا دليل لهم على ما يدعون ، وإليك أدلة أخرى على بطلان
هذه الدعوى : —

١ — اننا نرى الأشياء تنعدم بعد وجودها ، فوجدوها صائراً إلى الفناء
ولا يمكن بعد هذه المشاهدة أن يكون وجودها نفس وجود الله ، وإلا جاز
أن يلحقه أيضاً الفناء

٢ — إنه يلزم من القول (بوحدة الوجود) نفى التكليف ، لأنه
لا معنى لها ما دام القوم يقولون إنه لا موجود سوى الله ، وكيف يتصور أن
يرسل الله رسلاً أيرسلهم من نفسه إلى نفسه ؟ ! وكيف يكون من خلقه البر
والفاجر ؟ (سبحانك هذا بهتان عظيم)

وكيف مع هذا يحاسب الله خلقه ويعاقبهم وهم (فيما زعموا) لا وجود
لأشخاصهم ، ثم وجودهم فوق ذلك نفس وجود الله ؟ !

٣ — وانه لو كان الأمر كما قالوا لكان في الله تعالى نقص أى نقص .
فإن العالم مملوء بالنقائص والشرور ، وهم ينزهون الله عن كل النقائص

وقال الفخر الرازى وجماعة من المتكلمين : إن الوجود غير الموجود لان الوجود
صفة وهي مغايرة للموصوف ، ووجود الله معلوم لنا وذاته الموصوفة بالوجود غير
معلومة ولو كان الأمر كما قال الاشعري لكانت ذاته معلومة كوجوده ، وقالت طائفة
من الفلاسفة ان وجود الواجب عنه لثلاث تتعدد القدماء أما وجود الحوادث فغيرها
وقال بعضهم إن الخلاف في اللفظ فقط فمراد الاشعري أن الوجود ليس زائداً
في الخارج بحيث تصح رؤيته كالسواد واليباض وهذا لا يمنع أن بين الموجود والوجود
مغايرة في المعنى وهو مراد مخالف الاشعري . قال في شرح المقاصد وما أغرب حال
الوجود ! أقرب الأشياء وأشهرها مع تشعب مباحثه وكثرة اختلاف العقلاء فيه

والشروع فلا معنى لأن يجعلوا الخلق عين الحق فيعرضوا ذاته العلية
بذلك إلى النقائص (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)

هذا: وللقوم عبارات ينبغي أن أسرد منها شيئا ليقف القارىء على
معانيهم ومقاصدهم فيها:

(الحق مشهود، والخلق موهوم) سريان الهووية الالهية في الموجودات
أوجب سريان جميع^(١) الصفات الالهية فيها: من الحياة، والعلم، والارادة
والقدرة؛ لكن ظهر ذلك في بعضها بكل ذلك كالكمّل! والأقطاب ولم
يظهر في البعض الآخر فسمى حيوانا، والبعض جمادات
تجلّت (تجليها الوجود) لناظرى ففي كل مرئى أراها برؤيتى
ان كل فعل شاهدته في كل مظهر فهو فعل الواحد الحق، الأحد
الصمد)

تجلى حبيبي فى مرأى جماله	ففى كل مرأى للحبيب طلائع ^(٢)
فلما تبدّى حسنه متنوعا	تسمّى بأسماء فهن مطالع
وفى فيه من روحى نفخت كفاية	هل الروح إلا عينه يا منازع
فيا أحدى الذات فى عين كثرة	ويا واحد الأشياء ذاتك شائع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة	ولم تك موصولا ولا فصل قاطع
أنا الحق والتحقيق جامع خلقه	أنا الذات والوصف الذى هو تابع

(١) والمقرر عند أهل السنة أن الله واحد فى صفاته فليس لأحد صفة تشبه صفاته
إذ صفاته قديمة وصفات غيره حادثة، واعتبر ذلك فى علم الله تعالى الذى أحاط بكل
شئ وعلم الإنسان الذى يقف امام الحقائق حائرا عاجزا

(٢) من قصيدة للشيخ عبد القادر الجيلانى من أئمة الصوفية عنوانها (النوادر
العينية فى البوادر الغيبية) فى ٥٣٤ بيتا

وهم يسمون هذا وأشباهه (علم الحقيقة) وأشار إليه الامام الغزالي^(١) في كتبه وقال في كتابه (مشكاة الأنوار)

(العارفون بعد العروج على سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق ، واستهوت عقولهم الفردية ، فصاروا كالمبهوتين فيه ، ولم يبق فيه متسع لذكر غير الله ، ولا لذكر أنفسهم ؛ أيضا فسكروا سكرا وقع دونه سلطان عقولهم ، فقال بعضهم (أنا الحق) وقال الآخر (سبحاني) وقال غيره (ما في الحجة غير الله) فلما خف عنهم سكرهم وردو إلى سلطان العقل عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان سكننا بدنا
فاذا أبصرتي أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا
وهي حال الفناء لأن صاحبها فنى عن نفسه وفنى عن فناءه
وأنت ترى أن الغزالي ينسب ما وقع منهم إلى ذهاب سلطان عقولهم وفنائهم في حب الله تعالى والغزالي من كبار أئمة أهل السنة
ويقرب مما ذهب إليه الغزالي قول أبي مدين التلمساني :
الله قل وذو الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فإلك دون الله (إن حقيقته) عدم على التفصيل والاجبال
واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محل
والعارفون فنوا به لم يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعالى

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي علامة زمانه في الفقه والكلام والمنطق كانت وفاته سنة ٥٠٥ هـ في (طوس)

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال
ومع ما اعتذر به عنهم الامام الغزالي وغيره ، وعدم ما يصدر عنهم
نوعا من (الشطح) المصطلح عليه عندهم فقد قال العلامة الأثير في حاشية
الجوهرة (ذهب بعض المتصوفة والفلاسفة الى أنه تعالى الوجود المطلق
وأن غيره لا يتصف بالوجود أصلا حتى إذا قالوا ان الانسان موجود فعناه
أن له تعلقا بالوجود وهو الله تعالى وهو كافر ولا حلول ولا اتحاد ، فان
وقع من أكابر الأولياء ما يوهم ذلك أول بما يناسبه كما يقع منهم في وحدة
الوجود ، كقول بعضهم (ما في الجبة إلا الله) أراد ما في الجبة بل والكون
كله لا وجود له إلا بالله)

ثم قال (وذلك اللفظ وان كان لا يجوز شرعا لايهامه لكن القوم تارة
تعليمهم الاحوال) ..

ونقل أن (الحلاج) قال (أنا) وفيه بقية مامن شعوره بنفسه ، ثم
فتى بشهوده فقال (الله) فهما كلمتان في مقامين مختلفين ولكن أفتى بقتله
(الجنيد)^(١) سلطان الصوفية عملا بظاهر الشريعة الذي هو أمر الظاهر الباطن

الحلول

الحلول دعوى من أخطر الدعاوى التي ظهرت في الاسلام قال بها
قوم من غلاة الروافض من السبئية ومن مائلهم ، ومعناه (كما في الطوابع)
« قيام موجود بموجود على سبيل التبعية » وهو محال على الله تعالى لأنه
لا يمكن حلول القديم في الحادث لاختلاف ماهيتي القديم والحادث ، ولأن
الحلول يجعل الحال تبعاً لما حل فيه فلا يتيقن الحال إلا بتوسط المحل فيكون
الحال معلولاً له ومتأثراً به وهذا يناقض وصف الله تعالى بكونه واجبا لذاته

(١) هو أبو القاسم سعيد بن عبيد الملقب بالجنيد

ولأن الحلول إن كان حلول عرض في جوهر فواجب الوجود ليس عرضاً وان كان حلول جوهر في جوهر فليس الله تعالى جوهرًا ولأن الحلول ومثله الاتحاد بين الممكنين محال ، إذ لا يمكن أن يصير رجلان رجلاً واحداً لتباينهما في الذات . فالتباين بين واجب الوجود وبين الممكن أعظم وأولى لتباين الماهيتين في الواجب والممكن .

وفي هذا القدر كفاية لإبطال هذا المذهب ، وقد عد بعض المتكلمين والفقهاء فئة « الحلالية » من الحلولية وهم منسوبون إلى (الحسين بن منصور) المعروف (بالحلاج) وهو من مدينة (البيضاء) بفارس كان متصوفاً ناسكاً يتكلم بما يسمى لدى الصوفية (بالسطح) وهو الكلام الذي يحتمل معنيين (حسن ومذموم) وزعم من عده حلولياً أنه قال : « من هذب نفسه في الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لا يزال يصعد ويرتقى في درجات المصافة حتى يصفو عن البشرية فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الله الذي حل في عيسى بن مريم ولم يُرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله » ومن عده من المتكلمين حلولياً حكم بكفره وقد برأه فريق من المتكلمين بالبصرة ونسبوه إلى حقائق معاني الصوفية واختلاف الفقهاء والصوفية فيه كما اختلف المتكلمون ، وقيل أنه استمال إلى رأيه جماعة من حاشية الخليفة (جعفر المقتدر بالله) فقتله وصلبه عند جسر بغداد سنة ٣٠٩ هـ ثم أحرقه ونثر ترابه في دجلة ؛ والذين حسنوا الظن فيه وبرءوه من دعوى الحلولية التي قال بها ابن سبأ ومن إليه احتجوا بأنه قال حين قطعت يداه ورجلاه (حسب الواحد إفراد الواحد)

التناسخ

معناه انتقال الروح بعد الموت من جسد الى جسد ، وقد قال به هذا طوائف قبل الاسلام وبعده ، فالذين قبل الاسلام من الفلاسفة والسُّنِّيَّة^(١) وغيرهم قالوا بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة وجوزوا أن ينقل روح إنسان الى كلب أو العكس ، وزعموا أن من أذنب في قالب (جسد) ناله العقاب على ذلك في قالب آخر ، وقال (مان الحكيم) رأس المانوية : إن أرواح أهل الضلال إذا أرادت اللحاق بالنور الأعلى ردت إلى أسفل فتنقل في الحيوانات حتى تطهر ثم تلحق بالنور العالی — وممن قالوا به بعد الاسلام (عبد الكريم بن أبي العوجاء) الذي اجتمعت فيه صفات معظم الفرق فقد كان يرى رأى المانوية ويقول بالتناسخ ويعيل الى الامامية من الشيعة ويقول بالقدر وهو من وضاع الأحاديث وقتله أبو جعفر المنصور وقال عندما قدم للقتل : لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحلت بها الحرام وحرمت الحلال وفطرت فيها الرافضة في يوم من أيام صومهم وصومتهم في يوم من أيام فطرمهم ، ومنهم البيانية (من غلاة الرافضة) القائلون بأن روح الله دارت في الأنبياء حتى صارت في بيان بن اسماعيل ومن القائلين بالتناسخ أحمد بن حنبل (المعتزلى القدرى) زعم أن الروح لا يزال يتكرر في هذه الدنيا في صور مختلفة ما دامت طاعاته مشوبة بذنوبه وعلى قدر ذنوبه وطاعاته تكون منازل قوائمه في الانسانية والبهيمية فإذا ما تمحض عمل الحيوان طاعات رد إلى دار النعيم التي فيها خلق ، وإذا ما استحالت أعماله معاصي نقل الى النار يصلى عذابها الدائم ، وعلى هذا المحور تدور أقول القائلين بالتناسخ كالقرامطة . وأبى مسلم الخراساني

(١) السمنية قوم من الهنود يقولون بقدوم العالم ، وأنه لا موجد إلا من طريق الخواص

وكلاهما كما يظهر مما سبق ترجع الى فكرة الثواب والعقاب
ومنع بعض القائلين بالتناسخ أن يكون انتقال الأرواح من الانسان
الى غيره من الحيوان وجعلوه يدور بين أفراد النوع الانساني وحده .
وهم من الدهريين القائلين بعدم تناهى العالم فالأرواح تتردد فى الاجساد
أبدا ولا تنتقل الى غير جنسها الذى لها بطبعها الاشراف عليه
ونجعل الرد على هذا المذهب فيما يأتى : —

١ — نقول للفرقة المنتسبة للإسلام ان أهل السنة مجمعون على تكفيرهم
ثم انهم يقولون إن مدار مذهبهم الثواب والعقاب مع أن الشرع الذى
ينتسبون اليه لم يجعلها على الصورة التى فرضوها بل جعلها بالعذاب
والنعيم فى البرزخ^(١) ثم بالجنة أو النار بعد الحساب فى اليوم الآخر بعد
أحياء الأجساد وإلباسها الأرواح — ولا حجة لهم كما توهموا فى قوله
تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) وقوله جل شأنه (جعل لكم من
أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذروكم فيه) فغنى الصورة فى الآية
الأولى — كما هو واضح — تلك التى ركب عليها الانسان من طول أو
قصر وحسن أو قبح وسواد أو بياض الى غير ذلك ، ومعنى الثانية أن
أن الله تعالى يعد منته على بنى آدم بأن خلق لهم أزواجا من أنفسهم وأصنافا
من الأنعام يتفعون بها ، ثم بين أنه يذروهم أى (يكثرهم ويبشهم) فى هذا
التدبير (أى بسببه) وهو أن جعل لكل من الناس والأنعام أزواجا يكون بين
ذكورها وأنثاهما التوالد والتكاثر ، وبدهى أن أزواج بنى آدم التى يكثرون
بها لا تكون إلا من النوع الانسانى اذ لا يتصور العقل أن يكون للانسان
أزواج يتوالد النسل فيها من الأنعام ، هذا هو المعنى الذى تصرح به اللغة
والدين والعقل لا ما ادعاه أولئك المبطلون ممن حملوا اللفظ مالا يطيق
ليوافق هواهم ، وليلبسوا به على العامة دينهم

(١) هو الوقت الذى بين الموت والقيامة — والأصل فيه الحاجز بين الشيئين

٢ — ثم نقول للدهريين إن دعواهم لا تعتمد على برهان حسي أو عقلي وقد قامت الأدلة على حدوث العالم وما كان حادثاً فلا بد له من نهاية وإذا تقرر ذلك انتفى زعمهم الذي بنوه على اعتبار أن العالم قديم لا يتناهي على أنه لم توافقهم نبوة مافي زعمهم هذا والنبوات جاءت لارشاد العقل البشري إلى المعارف الدنيوية والأخروية لما ثبت قصوره عن ادراكها

٣ — ونقول للدهريين أيضاً ولمن انتسبوا إلى الإسلام من القائلين بالتناسخ إن تساوى نفسين في جميع الخصائص أمر غير ممكن فليس في العالم كله شيئان متشابهان تمام التشابه من جميع النواحي بجميع الاعراض كما يرى من يتدبر الصور والهيئات والاخلاق، وإذا قيل هذا شبيه هذا فانما المعنى أنه مثله في أكثر الاحوال لا في كلها، ونحن نعلم أن الاخلاق تتباين والاخلاق محمولة على النفس التي هي محل لها. ومتى تباينت الاخلاق تباينت النفوس من ناحيتها — وإذا تباينت النفوس كانت نفس كل بدن من الابدان من أى نوع كان خلاف التي في غيره من أبدان ذلك النوع بالضرورة، وإذا يبطل القول بانتقال نفس من بدن هي مستعدة له إلى آخر من نوع ذلك البدن تصالح له نفس أخرى له خصائصها وأخلاقها

٤ — ثم نقول لمن يقولون من الفلاسفة وغيرهم بجواز انتقال الروح من بدن إلى آخر ولولم يكن من نوعه، أنه إذا ثبت عدم اتفاق نفسين من نوع واحد في كل الخصائص فعدم الاتفاق بين نفوس الانواع المختلفة أولى وأذن لا معنى لأن تقوم نفس من نفوس الانسان بتسيير بدن حيوان آخر لم يكن فيها استعداد لتسييره، ومن العجب أن يقول السمنية بذلك وهو أمر لا يدرك بالحواس مع أن مذهبهم أنه لا يوجد معلوم إلا من طريق الحواس !

هـ — وأخيراً نقول ان الله خلق الاجناس ورتب تحتها الانواع ويميز كل نوع بفصل خاص لا يشركه فيه سواه من أفراد النوع الآخر ، فالإنسان يميزه عن القرد بالعقل والنطق وهكذا سائر الانواع تميزت عن غيرها بصفة خاصة . وما هذه الفصول والصفات بخصائص لأبدان الانواع وإنما هي للنفوس التي هي أرواحها المدبرة لها

وعلى هذا تكون نفس الانسان ناطقة ونفس الحيوان غير ناطقة فالنفسان مختلفتان بلا ريب واذن لا سبيل لأن تنقل نفس ناطقة الى محل نفس غير ناطقة أو العكس والا انتقضت الأشياء على حقائقها وبطل أثر الحس وبداهة العقل وانقسمت الأشياء على حدودها

ومن كل هذا ثبت بطلان التناسخ بالشرع والعقل والحس المشاهد

والحمد لله أولاً وآخراً

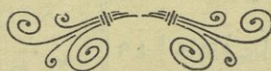


فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	١٨	(النظام)
٥	منشأ الفرق الإسلامية	٠٠	رأية في معرفة الله تعالى بالعقل
٧	الحكم عليها من الوجهة الدينية	٠٠	قبل الشرع والرد عليه
١	— (رأى ابن حزم)	١٩	قوله : إن الله لا يقدر على المعاصي
ب	— (رأى البغدادى)	٠٠	والشرور
٩	أنواع الفرق الرئيسية	٠٠	(العلاف)
١٠	انقسامها الى فرق شتى	٠٠	رأيه في خلود أهل الجنة والنار والرد
١٠	أهل السنة	٠٠	عليه
١٢	رأيهم في إثبات الصفات الإلهية	٠٠	قوله بجواز وقوع طاعة لا ينوى
٠٠	الكسب والاختيار بالنسبة	٢٠	بها طاعة
	لأفعال العباد	٠٠	(جعفر بن مبشر)
١٣	رؤية الله تعالى في الآخرة	٠٠	(عيسى بن صبيح المزدار)
١٤	رأيهم في الاستواء على العرش ونحوه	٠٠	رأيه في القرآن الكريم ، ورؤية الله
١٥	وضع علم الكلام ، وأدلته	٠٠	(احمد بن حائظ)
٠٠	المعتزلة	٠٠	قوله إن في الدواب والطيور رسلا
٠٠	رأيهم في حسن الأشياء وقبحها	٢٢	من نوعها والرد على هذا القول
٠٠	ورد أهل السنة عليهم		(الجاحظ)
١٦	الإيمان والإسلام وما يتعلق بهما	٢٣	رأيه في الجنة والنار والرد عليه
« هامش »		٢٣	قوله إن الله لا يريد المعاصي والرد عليه
١٧	مسألة القول بخلق القرآن الكريم	٢٣	(أبو على الجبائي)
		٠٠	دعواه أن الله مطيع لعبده إذا أجاز
		٠٠	دعاه والرد عليه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٢	حرب الزهروان بينهم وبين سيدنا على	٠٠	(أبو هاشم الجبائي)
٣٣	المؤامرة التي أفضت إلى قتل الامام على (كرم الله وجهه)	٠٠	آراؤه في التوبة
٠٠	شجاعة الخوارج وصور كثيرة منها	٠٠	(ملخص آراء المعتزلة)
٣٦	بعض مفارقات الخوارج	٠٠	مسألة مرتكب الكبيرة
٣٧	شعراء الخوارج وخطباؤهم ونماذج شتى لهم	٢٦	المرجئه
٤١	أسماء الخوارج	٠٠	(الثوبانية)
٠٠	فرق الخوارج	٠٠	موازنة بين مذهبهم ومذهبي أهل السنة والمعتزلة
٠٠	(الأزارقة)	٢٧	الشيعة
٤٢	(المهلب بن أبي صفرة)	٠٠	لم سموا بالروافض؟
٤٣	(الشييبية) وحروبهم	٠٠	(الزيدية)
٤٤	(النجيدات) وفروعهم	٠٠	(الجارودية)
٤٥	(العجاردة)	٢٨	(الامامية)
٤٧	(الصفورية)	٠٠	(الكيسانية)
٠٠	(الاباضية)	٠٠	(غلاة الشيعة وآراؤهم)
٤٨	نظرة إجمالية في تاريخ الخوارج	٠٠	(البيانية) قولهم بالحلل
٤٩	اختلاف آراء الخوارج وسببه	٢٩	(الجناحية)
٠٠	ما يجتمع عليه الخوارج من الآراء	٠٠	(المفوضة)
٥٠	بحث في السبب الباعث لهم على الخروج	٠٠	تطور المذهب الشيعي
		٣٠	الخوارج
		٠٠	نشأتهم
		٣١	إقحامهم الدين في سبيل دعوتهم

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥١	مناظرة الامام على لهم	٥٠	(الجولقية)
٥٢	استمرار في تعرف السبب الباعث	٥٠	البيانبة
	على خروجهم	٥٩	(الكرامية وآراءهم)
٥٤	حبهم لأخذ النار وتأثيره في	٥٩	الباطنية والقرامطة
	طول مدتهم	٦٢	(البهائية)
٥٥	الجبرية	٦٤	الرد على زعمهم أبدية العالم
٥٥	نظرة في مذهب الجبر	٦٦	كلمة إجمالية في الفرق
٥٦	(جهنم بن صفوان)	٦٩	أصناف أهل السنة (هامش)
٥٥	قوله بفناء الجنة والنار والرد عليه	٧٠	(الصوفية)
٥٧	القدرية	٧٣	كلمة في الطرق الصوفية
٥٥	أقسام القدرية « هامش »	٧٥	شيء من الفلسفة الصوفية
٥٥	المشبهة	٧٧	(وحدة الوجود)
٥٨	مغنى (الله نور السموات والارض)	٨٠	مسألة كون الوجود عين الوجود
٥٥	(الجعد بن درهم)		أو غيره
٥٥	(الهشامية)	٨٤	(الحلول)
		٨٦	(التناسخ)



مراجع هذا الكتاب

- ١ — الفصل في الملل والنحل : لابن حزم
- ٢ — الملل والنحل : للشهرستاني
- ٣ — الكامل : للمبرد
- ٤ — تاريخ الكامل : لابن الأثير
- ٥ — الفرق بين الفرق : للبغدادى
- ٦ — خيثة الأكوان : لصديق خان (ملك بهوبال)
- ٧ — ملخص تاريخ الخوارج : للمرحوم الشيخ محمد شريف
- ٨ — مقدمة ابن خلدون
- ٩ — تاريخ التصوف الاسلامى : للأستاذ عبد اللطيف الطيباوى
- ١٠ — أدب الجاحظ : للأستاذ حسن السندونى
- ١١ — دائرة المعارف : للأستاذ فريد وجدى
- ١٢ — تنزية الاعتقاد عن الحلول والاتحاد : للجلال السيوطى
- ١٣ — إيضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود : لعبد الغنى النابلسى
- ١٤ — مجلة نور الاسلام (العدد الخامس : المجلد الأول) لفضيلة
الأستاذ الشيخ « محمد الخضر حسين »
- ١٥ — رسالة التوحيد : للامام الشيخ « محمد عبده »
- ١٦ — تلخيص المحصل : للفخر الرازى

- ١٧ — حاشية الجوهرة : للعلامة الأمير
 ١٨ — حاشية الخريدة : للعلامة الصاوي
 ١٩ — دلائل التوحيد : للقاسمي دمشقي
 ٢٠ — كلمة التوحيد : لفضيلة الأستاذ الشيخ حسين والى

هذا ولا أنسى فضل أستاذيَّ الجليلين : الشيخ أحمد الاسكندري ،
 والشيخ محمد فخر الدين الأستاذين بدارالعلوم ، فقد كان لارشادهما أثر كبير
 في اتجاهي الى تأليف هذا الكتاب ، من أحسن المظان ، وأصدق الآراء



❦ الخطأ والصواب ❦

١ - أرجو حذف ما طبع سهواً في (ضرار بن عمرو) بصفحة ٢٦ -
(سطرى ١٧، ١٨ مع كلمتين في آخر سطر ١٦)

ب - يبين هذا الجدول أخطاء مطبعية وردت في هذا الكتاب : -

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٢	المحادث	الحادث
١٢	الأخير	باستقلال	باستقلال العبد
١٤	١٢	المرسل	الرسل
٢٧	٥	أبا بكر وعثمان	أبا بكر وعمر وعثمان
٢٨	٢١	بعد ابن الحنفية	بعد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
٣٣	١٦	سجاعة	شجاعة
٣٧	١٨	أسود	شيوخ
٥٤	٢	أم	أو
٥٥	الأول	تبعه	تبعه
٥٥	٥	دعنا	دعونا
٥٥	٧	إذ	إذا
٥٦	٥	يقعل	يفعل
٥٨	١٧	نوره	(تحذف)
٥٩	١٠	للّه	الله
٦٠	١١	حرأثا	حراثا
٦٠	١٢	مؤلاء	هؤلاء
٦٠	٢٢	بنفحة	بنغمة
٦٢	٦	بة	به

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٤	١٦	الاضطراب	الاضطراب
٦٩	٦	الحسن الاشعري	أبو الحسن
٧٢	٢٣	يا ابن	يابن
٧٩	١٠	له	ها



LIBRARY

DATE DUE

[illegible]

AUB LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00469932

